# الوعود الإلهية في سفر التكوين ومفهومها في الفكر اليهودي

## عرض ونقد

دكتور/ شداد بن راجح عيسى والد

أستاذ العقيدة المساعد-كلية العلوم والآداب بالمخواة

جامعة الباحة- المملكة العربية السعودية

**ملخص البحث:**

يدرس هذا البحث: الوعود الإلهية في سفر التكوين ومفهومها في الفكر اليهودي،عرض ونقد،وقد تألف من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، المبحث الأول: الوعد الإلهي بأرض الميعاد في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي، ونقده، والمبحث الثاني: الوعد الإلهي بتكثير النسل في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي، ونقده، والمبحث الثالث: الوعد بالبركة الإلهية في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي، ونقده، وقد سلك الباحث فيه المنهج الاستقرائي التحليلي، إضافة إلى المنهج النقدي، ويهدف البحث إلى دراسة الوعود الإلهية الواردة في سفر التكوين ومفهومها في الفكر اليهودي، ونقدها، وكان من أهم نتائجه: ادعاء اليهود أنَّهم هم المعنيون بهذه الوعود الواردة في سفر التكوين والوارثون لها، قطعها الله على نفسه لهم لا يمكن نقضها، وقد ناقشت الدراسة هذه الادعاءات، وبيّنت أنَّ وعود الله لليهود كانت معلَّقة على شرط الإيمان بالله، والعمل بأحكامه ووصاياه،وبيّنت أيضاً أنَّ وعد الله لهم بالأرض قد تحقق على يد يوشع فأقاموا فيها زمناً، لكن حينما كفروا بالله، غضب الله عليهم وحرمهم الأرض المقدسة، وشردهم وشتتهم في الأرض،وقد أوصى الباحث: بدراسة نصوص القَسَم وطقوسه في سفر التكوين وأبعادها العقدية.

**الكلمات المفتاحية**:سفر التكوين، اليهود، الوعود، أرض الميعاد، النسل، البركة.

**.Abstract**

This research investigates: (Divine promises in the Genesis, its concept in Jewish thought and criticism), it consisted of an introduction, a preface, and three topics, first topic is the divine promise with the promised land in the Genesis, its concept in Jewish thought, and its criticism. The second topic is the divine promise with increasing offspring the Genesis, its concept in Jewish thought, and its criticism. The third topic is the divine promise of blessing in the Genesis, its concept in Jewish thought, and its criticism. The researcher has adopted the inductive analytical and the critical approaches. The research aims to investigate the divine promises in Genesis, explaining its concept in Jewish thought, and discussing, one of its most prominent findings: the Jews' claim that they are the ones concerned with these promises involved in the Genesis and the inheritors, that God made for them and cannot be broken, the study discussed these claims and showed that God's promises to the Jews were concerned on the condition of believing in God, acting on his provisions and commandments, and also indicated that God's promise to them in the Promised Land was fulfilled by Joshua, so they resided it for a while, but when they disbelieved in God and corrupted the land, God became angry with them and deprived them of the Holy Land, and expelled them and scattered them on the land. The researcher recommended: studying the oath texts and rituals in the Genesis and their doctrinal dimensions.

**Keywords:Genesis, Jews,promises, Promised Land, increasing offspring, divine blessing.**

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد حرّف اليهود كتبهم المنزلة من عند الله -تعالى- وكتبوها بأيديهم، ووضعوا فيها العقائد والشرائع والأخلاق التي تتناسب مع أهوائهم، قال الله -تعالى-: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[النساء:٤٦]، ومن أبرز هذه الكتب سفر التكوين، حيث حوى العديد من العقائد والعبادات والتشريعات اليهودية، منها الباطل والمحرّف، ومنها ما يتوافق مع ما جاء به الإسلام.

ومما حواه سفر التكوين الوعود الإلهية، التي يعتقد اليهود أنها خالصة لهممن دون الأمم، وأنَّهم الورثة الحقيقيون لها، وينطلقون منها في شؤون حياتهم من عقيدة، وأخلاق، وعبادات، وتشريعات،وادعاء حقوق، وغير ذلك، فهي رسالة الحياة بأكملها عندهم، وسفر التكوين التطبيقُ العملي لها.

ولمعرفة حقيقة هذه الوعود الواردة في سفر التكوين، ومفهومها في الفكر اليهودي، ومناقشتها، كان هذا البحث الموسوم بـ:الوعود الإلهية في سفر التكوين ومفهومها في الفكر اليهودي، عرض ونقد.

**مشكلة البحث:**

تتمثل مشكلة البحث في أنَّ اليهود يعتقدون أنَّ بينهم وبين الربَّ-تعالى- وعوداً مقدّسة،واجبة الاستحقاق والنفاذ، قطعها الله على نفسه، لا يمكن نقضها، امتازوا بها عن بقية الشعوب، واستدلوا على شرعيتها بنصوص من سفر التكوين.

فما هذه الوعود الإلهية؟ وما مفهومها في الفكر اليهودي؟ وكيف نتناولها بالنقد؟

**حدود البحث:**

سيقتصر هذا البحث على دراسة الوعود الإلهية المتعلقة: بأرض الميعاد، وكثرة النسل، والبركة الإلهية، الواردة في سفر التكوين، ومفهومها في الفكر اليهودي، ونقدها، لأنه أول سفر أسَّس لهذه العقائد، وما جاء بعده من نصوص في باقي أسفار العهد القديم، ما هي إلا نصوص تابعة،أو مؤكِّدة، أو مفصِّلة لما ورد فيه.

**أهمية البحث:**

تبرز أهمية البحث في جوانب عدة أظهرها:

١- مكانة سفر التكوين عند اليهود وأهميته،وارتباطهم بتعاليمه قديماً وحديثاً، باعتباره أول الأسفار المقدَّسة عندهم، وأكثرها حديثاً وتفصيلاً عن الوعود الإلهية.

٢- تمسُّك اليهود بالوعود الإلهية الواردة فيسفر التكوين، وانحرافهم في مفهومها، والمبالغة في إسقاطها على أنفسهم، إذ يعتقدون أنَّهم هم المعنيون بها دون غيرهم من الناس؛ لأنَّهم –بزعمهم– أحفاد نبيه إبراهيم –عليه السلام– وسلالته المباركون، الذي يُهيّئ لهم كلَّ أسباب الغَلَبة والنجاة والتفوق، ويتسامح معهم في كل ما يرتكبون من انحرافات.

٣- تُعدُّ هذه الوعود الإلهية الواردة في سفر التكوين حيَّة عند اليهود، ومن أصول عقائدهم، ويعملون على تكريسها، ولا يوارون في إعلانها أمام العالم، بل هي عندهم أسمى أهداف الحياة والخلق.

٤- إنَّ المسألة ليست نصوصاً فقط وقع فيها التحريف من سفر التكوين، بل هناك أبعاد عقدية هامة لهذه النصوص في الفكر اليهودي، فدراسة هذه النصوص ونقدها من الأهمية بمكان.

**أسباب اختيار البحث:**

من أسباب اختيار هذا الموضوع ما يأتي:

١- إبراز مدى التحريف الذي نال سفر التكوين، لاسيما ما يتعلق بالوعود الإلهية الواردة فيه.

٢- إبطال دعوى اليهود في تخصيص تلك الوعود الإلهية الواردة في سفر التكوين،بأنَّها لهم دون غيرهم من أمم الأرض.

٣- تعلُّق الموضوع بدراسة الأديان، وهذا العلم المهم تقلُّ فيه الدراسات مقارنة بغيره، وحاجة طلاب العلم والمختصين لمثل هذه الدراسات لا زالت قائمة.

**أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى:

١-التعريف بسفر التكوين، ومكانته عند اليهود.

٢-دراسة نصوص سفر التكوين المتعلقة بالوعد بتمليك أرض الميعاد، ومفهومها في الفكر اليهودي،ونقدها.

٣- دراسة نصوص سفر التكوين المتعلقة بالوعد بتكثير النسل، ومفهومها في الفكر اليهودي، ونقدها.

٤- دراسة نصوص سفر التكوين المتعلقة بالوعد بالبركة الإلهية، ومفهومها في الفكر اليهودي، ونقدها.

**الدراسات السابقة:**

خلال بحثي في فهارس المكتبات الجامعية، والكليات المتخصصة، والمجلات العلمية التي تُعنى بالدراسات العقدية، وسؤال بعض المختصين في مجال العقيدة والأديان، علمتُ أنَّ هذا الموضوع لا يوجد من أفرده في بحث أكاديمي مستقل.

وقد وقفت على دراستين سابقتين تناولتا سفر التكوين:

الأولى: القضايا العقدية في سفر التكوين، دراسة تحليلية نقدية،إعداد: شوق يونس الحزين،رسالة ماجستير في كلية أصول الدين،الجامعة الإسلامية بغزة، سنة (١٤٣١ه).

والأخرى: سفر التكوين دراسة عقدية نقدية، إعداد: نوال خضر الثبيتي، رسالة ماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، سنة (١٤٣٣/١٤٣٤ه)ـ.

وهاتان الدراستان مع أهميتهما، وتميّز الجهد المبذول فيهما –قد أفدت منهما–إلا أنَّهما لم تستوعبا موضوع الوعود الإلهية في سفر التكوين، ولم تستوفيا الحديث عنها، ولم تحظ تلك الوعود بالاهتمام الذي تستحق، بل اكتفتا بالإشارات اليسيرة، وبشكل مقتضب دون تفصيل،وذلك في ثنايا حديثهما عن صفات الأنبياء وقصصهم،فالدراستان لم تُفرِدا الحديث عن الوعود الإلهية، ولم يكن ذلك من أهدافهما.

ولعلَّ ذلك يعود–والله أعلم–إلى أنَّ تلك الدراستين لم تكونا معنيّة بقضية الوعود الإلهية على وجه الخصوص،ولا هو محور بحثها،ولا يخفى على كل باحث الفرق بين دراسة سفر بأكمله،ودراسة مسألة من مسائله،من حيث الاستيعاب والتفصيل،والعمق والشمول.

ومع اشتراك هذه الدراسة مع تلك الدراستين من حيث تعلُّق كل منها بسفر التكوين، إلا أنَّ هذه الدراسة تأتي لتتناول جوانب الوعود الإلهية بشكل أشمل وأدق، وبطريقة مختلفة عن تلك الدراستين،في التحرير والتحليل، والاستقراء والعرض، والتفصيل والنقد، على قدر الطاقة البشرية، سائلاً المولى القدير التوفيق والسداد.

**منهج البحث:**

نهجت في تناوله المنهج الاستقرائي التحليلي لنصوص سفر التكوين المتعلقة بالوعود الإلهية، إضافة إلى المنهج النقدي.

**إجراءات البحث:**

١- اعتمد الباحث في هذا البحث لنصوص الكتاب المقدس: الترجمة العربية المشتركة[١]؛الصادرة عن دار الكتاب المقدس في لبنان، وذلك لشهرتها، واعتماد كثير من الباحثين عليها، ولكن يؤخذ عليها أنَّها كُتبت بروح معاصرة تتنازل أحياناً عن حرفية النَّص الكتابي، مما يؤدي إلى ركاكة في النَّص المترجَم، ومحل الشاهد منه، ولذا أعود أحياناً إلى: ترجمة البستاني وفاندايك، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

٢- جمع واستقراء النصوص المتعلقة بالوعود الإلهية الواردة في سفر التكوين، والجمع هنا لأهمِّ النصوص التي تكلمت عن الوعود: بتمليك أرض الميعاد، وتكثير النسل، والبركة الإلهية.

٣- استعان الباحث بالمراجع والدراسات اللاهوتية المعتمدة في شرح سفر التكوين.

٤- تكرار بعض النصوص من سفر التكوين في بعض المواضع لاشتمالها على أكثر من مسألة من مسائل البحث، وقد بذلت جهدي للتقليل من ذلك قدر المستطاع.

٥- اتباع الأصول العلمية المعروفة في البحوث العلمية، ومن ذلك:

- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.
- تخريج الأحاديث من مصادرها.
- ذكر اسم السِّفر، ثم رقم إصحاحه، ثم الفقرة التي تدل عليه لسهولة الرجوع إليه.
- اتِّباع الطريقة المختصرة في الإحالة للمراجع؛ وذلك بذكر الكتاب ومؤلفه مختصراً، ثم الجزء والصفحة، وإرجاء كامل التفاصيل إلى فهرس المراجع.
- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط، وتوضيح معنى ما غمض من الألفاظ، والترجمة الموجزة للأعلام عدا الصحابة.

**خطة البحث:**

جاءت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، ثم خاتمة، وفهارس، على النحو الآتي:

**المقدمة**:وتشتمل على مشكلة البحث، وحدوده، وأهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه،والدراسات السابقة، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث.

---

(١) توجد نسخة الكترونية منها على موقع جمعية الكتاب المقدس: https://www.biblesociety.org.lb/ar

**التمهيد: التعريف بسفر التكوين، ومكانته عند اليهود.**

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التعريف بسفر التكوين.

المسألة الثانية: مكانة سفر التكوين عند اليهود.

**المبحث الأول: الوعد الإلهي بأرض الميعاد في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي، ونقده.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوعد الإلهي بأرض الميعاد في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي.

المطلب الثاني: نقد الوعد الإلهي بأرض الميعاد.

**المبحث الثاني: الوعد الإلهي بتكثير النسل في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي، ونقده.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوعد الإلهي بتكثير النسل في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي.

المطلب الثاني: نقد الوعد الإلهي بتكثير النسل.

**المبحث الثالث: الوعد بالبركة الإلهية في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي، ونقده.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الوعد بالبركة الإلهية في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي.

المطلب الثاني: نقد الوعد بالبركة الإلهية.

**الخاتمة:** وتتضمن أهم النتائج، والتوصيات.

هذا؛ وأسأل الله إخلاص النية، وصلاح العمل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

**التمهيد: التعريف بسفر التكوين، ومكانته عند اليهود**

وفيه مسألتان:

**المسألة الأولى: التعريف بسفر التكوين:**

**١- اسمه:**

اسمه في الأصل العبري على أول كلمة وردت فيه وهي: (براشيت)[١]، أي (فِي البَدْءِ)[٢]، أما اسمه في بقية اللغات فهو (التكوين) وذلك راجع للترجمة اليونانية السبعينية[٣]، وتعني:الأصل،أوبداية الأمور[٤]، ويسمى سفر (الخليقة)[٥].

وسمي بالتكوين: لأنَّه يتحدث عن تكوين العالم، وخلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان الأول، ونزوله إلى الأرض، والأنبياء بعده إلى زمن وفاة يوسف –عليهم جميعاً الصلاة والسلام–[٦].

**٢- محتوياته:**

سفر التكوين أول أسفار العهد القديم، ويتكون من خمسين إصحاحاً[٧]، ويُقسّم من حيث محتوياته إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: تكوين العالَم قبل إبراهيم –عليه السلام– فيبحث في موضوع تاريخ بدء الإنسانية، وفي قصة الخليقة، فيذكر خلق العالم من سماوات وأرض وغير ذلك، وخلق آدم وحواء، وهبوطهما من الجنة إلى الأرض، وحياتهما فيها، وقصة قتل قابيل أخاه هابيل، وقصة نوح والطوفان، وهذا من الإصحاح الأول إلى الإصحاح الحادي عشر.

القسم الثاني: حياة إبراهيم –عليه السلام– وهذا من الإصحاح الثاني عشر إلى الإصحاح الخامس والعشرين.

---

(١) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٩)، وتعرف إلى العهد القديم، الفغالي (ص٣٣٢)، والكنز في قواعد اللغة العبرية، محمد بدر (ص١٢٨).

(٢) هذه اللفظة أول لفظة وردت في سفر التكوين (١:١).

(٣) هناك ثلاث نسخ للعهد القديم، الأولى: النسخة السامرية، وهي المعتمدة عند السامرين، وتختلف هذه النسخة عن بقية النسخ الأخرى من كتب العهد القديم في أنها تحتوي على خمسة أسفار فقط، وهي: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، الثانية: النسخة العبرية، وتتكون من تسعة وثلاثين سفراً، وهي المعتمدة عند غالبية اليهود، وكذلك عند البروتستانت وبعض كنائس الشرق، الثالث: النسخة اليونانية، وهي النسخة المعتمدة عند النصارى الأرثوذكس والكاثوليك، وهي النسخة المترجمة عن النسخة العبرية، وهي المسماة بالترجمة السبعينية، وزادوا على أسفار النسخة العبرية أسفاراً أخرى. انظر: دليل العهد القديم، ملاك محارب (ص٢٨)، والتوراة دراسة وتحليل، محمد شتيوي (ص٥٤)

(٤) انظر: مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، متى بهنام (ص٣٠)، ودليل العهد القديم، ملاك محارب (ص٢٨)، والمحيط الجامع في الكتاب المقدس، الفغالي (ص٣٧٥)، والعهد القديم دراسة نقدية، علي سرّي (ص٥٣)، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار (ص١٧٢)

(٥) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (٩٩/١)، واليهودية، شلبي (ص٢٣٣)، ومدخل إلى دراسة التوراة ونقدها، إدريس اعبيزة (ص١٥).

(٦) انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من اللاهوتيين (ص٣)، وتعرَّف إلى العهد القديم، الفغالي (ص٣٣٠)، وتفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص١٢٩).

(٧) انظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار (ص١٨٢)، والسنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٩)، والإصحاح مصطلح يهودي ونصراني، يطلق على أقسام العهد القديم والعهد الجديد، وهو بمعنى الفصل في اللغة العربية، وهو الموضوع الواحد، الذي يضم فقرات عديدة، وموضوعات جزئية.

القسم الثالث: حياة إسحاق ويعقوب -عليهما السلام- وهذا من الإصحاح السادس والعشرين إلى الإصحاح السادس والثلاثين.

القسم الرابع: حياة يوسف -عليه السلام- وهذا من الإصحاح السابع والثلاثين إلى الإصحاح الخمسين.

وينتهي سفر التكوين بوفاة يعقوب،ثم ولده يوسف -عليهما السلام- ودفنهما بمصر، ويركِّز السِّفر على الوعود الإلهية لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ولنسلهم من بعدهم[١].

ولقد ظهر لبعض الباحثين أنَّ معظم سفر التكوين قد كُتب في القرن التاسع قبل الميلاد، أي بعد موسى -عليه السلام- بنحو خمسة قرون أو ستة قرون[٢]، وأنَّ حوادثه تغطِّي تقريباً (٢٣٠٠) سنة[٣].

ونحن نعتقد أنَّ سفر التكوين صناعة بشرية، كتبه الأحبار في القرون المختلفة، وأخذوا مادته من ثقافات الأقوام الذين عاشوا بينهم كالبابليين، والفرس، والكنعانيين.

وقد صرّح بعض اللاهوتيين بهذه الحقيقة في تقديمهم لترجمتهم العربية للكتاب المقدس، وأكدوا أنَّ سفر التكوين لم يؤلّف دفعة واحدة، بل جاء نتيجة عمل أدبي، استمر عدّة أجيال[٤].

وصدق الله القائل في كتابه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[البقرة:٧٩].

**المسألة الثانية:مكانة سفر التكوين عند اليهود:**

اعتمد اليهود تسعة وثلاثين سفراً،وعدّوها مقدّسة موحى بها، ويطلق عليها اسم العهد القديم[٥]، وهي الموجودة في الكتاب المقدس حسب نسخته العبرية،وقد جرى الاصطلاح على تقسيمها من حيث موضوعها إلى أربعة أقسام[٦]، هي:

---

(١) انظر: اليهودية، شلبي (ص٢٣٣)، والسنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٩)، والأسفار المقدسة عند اليهود، محمود قدح (ص٣٣٣).

(٢) انظر: اليهودية، شلبي (ص٢٤٨)، والمدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف (ص٩٣)، والمدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد (ص٧٢)

(٣) انظر: الكتاب المقدس سفراً سفراً، عايد هنري (ص١٢).

(٤) انظر: مقدمة الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٦٤).

(٥) العهد القديم: اصطلاح علمي يستخدمه النصارى للإشارة إلى أسفار اليهود؛ ليكون في مقابل العهد الجديد (الإنجيل)، حيث يشكلان معاً ما يسمى عند النصارى بالكتاب المقدس، أما اليهود فيفضلون استخدام اصطلاح (تنخ أو تنك) أو (المِقرا) أو (المِسُورَة) على اصطلاح العهد القديم. انظر: دائرة المعارف، بطرس البستاني (٦/٢٤٦)، والمدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف (ص١٧)، والعهد القديم دراسة نقدية، علي سريّ (ص٢٠).

(٦) انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٧٦٤)، والمرشد إلى الكتاب المقدس، سيل سيكل (ص٧٢).

**القسم الأول:** التوراة[١]، أو الأسفار الخمسة،وينسبها اليهود مباشرة إلى موسى – عليه السلام –[٢]، وقد يسمونها أحياناً: كتب موسى، وهي: سفر التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، وهذه الأسفار هي أهم أجزاء العهد القديم كله.

**القسم الثاني:** الأسفار التاريخية: وهي اثنا عشر سفراً تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين[٣]،واستقرارهم في فلسطين، وتُفصِّل تاريخ قضاتهم، وملوكهم، وأيامهم، والحوادث البارزة في حياتهم، وهي أسفار يوشع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول، وصموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثاني، وعزرا، ونحميا، وإستير.

**القسم الثالث:**الأسفار الشعرية أو أسفار الأناشيد: وهي خمسة أسفار اشتملت على الأناشيد والمواعظ معروضة بأسلوب شعري، وهي: أيوب، والمزامير، والأمثال، والجامعة، ونشيد الإنشاد.

**القسم الرابع:** الأسفار النبوية: تتضمن كلها نبوءات أنبياء اليهود من الحوادث المستقبلية التي ستحل باليهود، وبلاد العالم كله، كما تتضمن عبارات التوبيخ لليهود على ما ارتكبوا طوال تاريخهم من تمرد على الله وعصيان لأحكامه ووصاياه، ويبلغ عدد تلك الأسفار سبعة عشر سفراً، وهي أسفار: إشعياء، وإرميا، وباروخ، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي.

ويرجِّح العلماء أنَّ الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى –عليه السلام– دوِّنت بعده بزمن طويل،وأن جميعها مكتوبة بأقلام اليهود[٤]، وأنَّ مجموع أسفار العهد القديم دوِّنت على مراحل وفترات متفاوتة، ولم تتقرر صيغتها النهائية إلا في القرن العاشر الميلادي،ولذا جاءت مثقلة بالمتناقضات[٥].

---

(١) وقد يطلق لفظ التوراة على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل. انظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار، (ص١١٢).

(٢) كان اليهود يعتقدون لقرون طويلة أن موسى –عليه السلام– هو كاتب هذه الأسفار الخمسة بيده، ولم تصادف هذه الدعوى اعتراضاً قوياً حتى القرن الميلادي الثاني عشر، حين رفضها عدد من الباحثين الغربيين، أمثال ابن عزرا، وباروخ سبينوزا، وريتشارد سيمون. انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، أسبينوزا (ص٢٦٦)،والمدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد (ص٧٠)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٣٤٨/٢)، والسنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، ولـيم مارش (ص٧)، وهداية الحيارى، ابن القيم (ص٢٢٤)، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار (ص١١١).

(٣) الكنعانيون: قوم من سكان الجزيرة العربية هاجروا إلى فلسطين في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد،، واستوطنوا في وسط فلسطين، وقامت لهم فيها حضارة، ولذا يقال لفلسطين أرض كنعان، وتنسب إلى كنعان بن سام بن نوح، وتعتبر أرض كنعان من أهم المناطق التي ركَّز سفر التكوين على ذكرها ووصفها، وذلك لأنها تمثل لليهود أرض الميعاد. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٧٨٩)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٣٩٣/٦)، والعرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة (ص٩)

(٤) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا (ص٢٧٠)، واليهودية، شلبي (ص٢٤٨)، والتوراة دراسة وتحليل،شتيوي (ص٥٢)، وتفسير سفر التكوين، القديس يوحنا الذهبي الفم (ص٢٠).

(٥) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (٣٦٧/٢)ـ، ومصر والشرق الأدنى القديم، نجيب ميخائيل (٢٠٩/٣)، والتوراة دراسة وتحليل،شتيوي (ص٤٣)، وعلم اللاهوت النظامي، جيمس أنس (ص٥٢).

وإذا كانت الأسفار المنسوبة لموسى -عليه السلام- هي أهم أسفار العهد القديم، فإنَّ سفر التكوين هو أهم الأسفار الخمسة، وهذا معناه أنَّ سفر التكوين هو أهم أسفار العهد القديم على الإطلاق، ولذا افتُتحت به أسفاره.

ولا بد أن ننظر إليه من هذه الزاوية، وأن نتعامل معه على هذا الأساس، فسفر التكوين هو واحد من الأسفار التي هي محل اتفاق عند جميع فرق اليهود وطوائفهم، وكذلك النصارى، وهو يقوم على فكرة يهودية استعلائية، خلاصتها أنَّ الله اختار لنفسه شعباً خاصاً من بين شعوب الأرض، وهم اليهود، فصار شعب الله المختار، وصار أفراده أبناء الله وأحبَّاءه، وكَوّن من أجله الكون كله، سماءه وأرضه، وخيراته ونِعَمه، وآتاه الأرض المقدسة، وجعلها مُلكاً مؤبداً له، وأخضع له كل شعوب الأرض، ثم بارك هذا الشعب، وبهم تتبارك جميع قبائل الأرض، ووعدهم بتكثير نسلهم كعدد النجوم في السماء، وكعدد رمل الأرض(١).

ويرى مفسرو السِّفر أنَّ من الصعوبة وجود موضوعٍ كبيرٍ واحدٍ في العهد القديم،دون وجود ظل له في سفر التكوين، وإنَّ كثيراً من الموضوعات التي تناولها العهد القديم بعد ذلك منبعها في هذا السِّفر، فهو كما يدْعُونه:مستودع بذار العهد القديم(٢)، وأصل الدين اليهودي(٣).

كما تَكْمُنُ أهمية سفر التكوين عند اليهود؛ في أنَّه يروي من الوعود الإلهية المزعومة أكثر مما يرويه أيُّ سفر آخر، وجَمَعَفي جوهره الحديث عن بداية نشوء شعب الله المختار، وكيف أنَّ الله كَوَّن لنفسه بين أمم الأرض شعباً من سلالة إبراهيم فإسحاق فيعقوب، وحفظه لذلك الشعب، وتمييزه له، وتفضيله إياه على سائر البشر(٤).

ويعترف بعض اللاهوتيين أنَّ الروايات والأخبار في سفر التكوين تَهمُ البشرية كلها، فيقولون: «إنَّ سفر التكوين يروي كيف نشأ العالَم، وكيف بدأ عمل الله في البشرية...إنَّه جزء من التوراة، ومع ذلك يحتوي في جوهره على روايات تتعلق بأجداد شعب إسرائيل وآبائه، ويفتح تاريخاً يستمر إلى اليوم، ويهم البشرية كلها وليس الشعب اليهودي فقط»(٥).

---

(١) انظر:السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٩)، والمدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف (ص٩٣).

(٢) انظر: وحي الكتاب المقدس، يوسف رياض (ص١١٣).

(٣) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٩).

(٤) انظر: مقدمة الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٦٥)، ومرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، مجموعة من اللاهوتيين (ص٧٦)، وتفسير سفر التكوين، نجيب جرجس (ص٣٨)، وتفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص١٢٩)، وتفسير سفر التكوين، القديس يوحنا الذهبي الفم (ص٢٠).

(٥) مقدمة الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٦٧).

## المبحث الأول

## الوعد بأرض الميعاد في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي، ونقده

وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: نصوص الوعد بأرض الميعاد في سفر التكوين، ومفهومها في الفكر اليهودي:

يعتقد اليهود أنَّهم هم الوارثون الحقيقيون لأرض الميعاد،لأنَّها الأرض التي وعدها الله لهم ولذراريهم، وأنَّ هذا الوعد –الذي هو أول وعود الله لهم– واجب الاستحقاق والنفاذ، لا رجعة فيه، قطعه الله على نفسه لهم، وقد صرَّح زعماؤهم مراراً بأنَّ كل يهودي لا يعود إلى أرض الميعاد محروم من رحمة الرَّب[1].

وقد بلغت عندهم أرض الميعاد مكانة عظيمة، حتى إنَّهم نسُوا من أجلها الحياة الأخروية، وأصبحت هي الهاجس الأول والأخير، وهي غاية ما يكرم به الرَّبُ من يطيعه ولا يعصي أمره، ويعتمدون في تقرير ذلك على العديد من نصوص سفر التكوين المقدَّس عندهم.

ولمعرفة حقيقة هذا الوعد نسوق أهم النصوص الواردة بشأنه في سفر التكوين، على النحو الآتي:

**النَّص الأول:** تبدأ قضية الوعد الإلهي بتمليك اليهود أرض الميعاد؛ من لحظة كذبهم على نبي الله نوح –عليه السلام– واتهامه بالسكر والتعرِّي[2]، وقيامه بلعن كنعان، ومباركة سام وتمليكه مساكن كنعان، جاء في سفر التكوين: «وَكانَ نُوحٌ أوَّلَ فلاَّحٍ غرسَ كَرْماً. وشربَ نُوحٌ مِنَ الخمرِ، فسَكرَ وتَعَرَّى في خَيمَتِه. فرأى حامٌ أبو كنعانَ عَورَةَ أبيه، فأخبَرَ أخَويه وهُما خارجا. فأخَذَ سامٌ ويافَثُ ثوبا وألقَياهُ على أكتافِهما. ومَشَيا إلى الوراءِ ليَستُرا عَورَةَ أبيهما، وكانَ وجهاهُما إلى الخَلْفِ، فما أبصَرا عَورَةَ أبيهما. فلمَّا أفاقَ نُوحٌ مِنْ سُكْرِه عَلِمَ بِما فعَلَ بِه ابنُهُ الصَّغيرُ. فقالَ: مَلعونٌ كنعانُ! عبداً ذليلاً يكونُ لإخوَتِه، وقالَ: تَبارك الرَّبُّ إلهُ سام، ويكونُ كنعانُ عبداً لِسامٍ. ويَزيدُ اللهُ يافَثَ، فيسكُنُ في خيامِ سامٍ ويكونُ كنعانُ عبداً لهُ!»[3].

---

(١) انظر: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون (ص٤٦٧)، والله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، محمد البار (ص٧٧)، ومرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، مجموعة من اللاهوتيين (ص٥٦).

(٢) يرى عدد من مفسري الكتاب المقدس أنَّ رواية سكر وتعري نوح –عليه السلام– رواية متنافرة، دخيلة على النص الكتابي، لكن يبقى أنَّ الكثيرين تقبلوها كنص إلهي يُثبت أنَّ البشر متعلق بالخطيئة مهما بلغ من النجابة. انظر: الكتاب المقدس يتحدث اليوم: سفر التكوين، ديفيد أتكنسون (٢/٢٢٠).

(٣) سفر التكوين (٩:٢٠-٢٧).

يا لها من صورة قذرة يرسمها سفر التكوين لنبي الله نوح –عليه السلام–فقد زعم أنَّهذا النبي الكريم شرب الخمر حتى سكر، ثم تعرَّى دون أن يشعر بنفسه، فيدخل عليه ابنه حام، ويخبر أخويه الأكبر منه سناً سام ويافث، فيدخل هذان على أبيهما ويغطِّيان عورة أبيهما دون أن ينظرا إليه، وعندما يفيق نوح ويعلم بما فعل حام، يلعن كنعان بن حام[(١)]! الذي لا جريرة له، ولا علاقة له في هذا الموضوع البتة، ويجعله عبد العبيد لأبناء سام جدَّ اليهود ومنه ينحدرون كما يعتقدون[(٢)].

من الواضح أنَّ كتبة سفر التكوين أرادوا من افتراء هذه القصَّة أن يثبتوا حقَّ اليهود في فلسطين أرض الكنعانيين، فاختلقوا هذه القصَّة الأسطورية، ولوَّثوا صورة النبي الكريم نوح –عليه السلام–[(٣)].

وقبل ذكر البُعد العقدي لهذه القصة، يحسن الوقوف عند مفترياتها قليلاً، وذلك كما يأتي:

١– أنَّ هذا النبي الكريم نوح –عليه السلام– يسكر ويتعرى داخل خبائه، دون أن يُحكِم الإغلاق والستر، ثم يلوم ابنه الصغير الذي رآه مصادفة، ولا يلوم نفسه على فعلته!

٢– أنَّه لم يلعن ابنه الذي رآه، بل لعن ابن ابنه الذي لم يُخلق بعد، وأولاده من بعده أيضاً!

٣– كيف عرف أنَّ ابنه حام سيولد له ولد، ويكون اسمه كنعان[(٤)]!

إن َّكتبة سفر التكوين أرادوا من نسج هذه القصَّة التأكيد على أحقية اليهود بأرض كنعان، فغاية هذا النَّص التوصل إلى لعن كنعانَ، جدِّ العرب وسلالتهم قبل إسماعيل، ويريد اليهود أن تأتي هذه اللعنة من مرجع هام، فاختاروا أن يكون اللاعن نوح –عليه السلام–.

فالبُعد العقدي لهذه القصَّة المكذوبة واضح وجلي؛ وهو التمهيد لاستعباد الكنعانيين والاستيلاء على أرضهم واحتقارهم بحجة أنَّهم ملعونون[(٥)].

ومن هنا تظهر الملامح الأولى لفكرة الاصطفاء والاختيار لنسل سام بن نوح عبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب –عليهم السلام– لتكون أرض الكنعانيين لهم، بحجة أنَّ أهل

---

(١) يرى بعض الباحثين أن تخصيص كنعان باللعن جاء نظراً لمباركة الرب قبل هذه الحادثة لأبناء نوح (حام، سام، يافث) فلا يستقيم أن يلعن الرب حاما بعد أن باركه، فجعل اللعنة على ابنه كنعان! انظر: النبوة والأنبياء في العهد القديم، متى المسكين (ص٦٧).

(٢) انظر:تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس (ص١٨).

(٣) انظر: الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، محمد البار (ص٦٨).

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (٩٩/١)، وقد أسهب في إبطال هذه القصَّة وكشف عوارها.

(٥) انظر: النبوة والأنبياء في العهد القديم، متى المسكين (ص٦٨).

هذه الأرض ملعونون، وهو يعطي مع غيره من النصوص الآتية، حجة بين الأمم باستيلائهم على أرض الميعاد، واعتبار ذلك حقاً بوعد إلهي، وملكاً أبدياً لا يقبل المناقشة، وعقيدة لا تقبل المساومة[١].

**النَّص الثاني:**جاء في سفر التكوين:«وقالَ الرَّبُّ لأبرامَ[٢]: ارحَلْ منْ أرضِكَ وعَشيرَتِكَ وبَيت أبيكَ إلى الأرضِ الّتي أُريكَ...فرَحلَ أبرامُ، كما قالَ لَه الرَّبُّ، وذهَبَ معَهُ لُوطٌ. وكانَ أبرامُ ابْنَ خَمْسٍ وسَبْعينَ سنَةً لَمَّا خرَجَ منْ حارانَ[٣]. وأخذَ أبرامُ ساراي امْرَأَتَه ولُوطا ابْنَ أخيه، وكُلَّ ما كانَ يَمتَلكُهُ، هوَ ولُوطٌ، والعبيدُ الّذينَ حَصَلا علَيهِم في حارانَ. وخرَجوا جَميعا قاصدينَ أرضَ كنعانَ. فلمَّا وصلوا إلى أرضِ كنعانَ. اجْتَازَ أبرامُ في الأرضِ إلى بَلوطَةِ مُورةَ[٤] في شَكيمَ[٥]، عندَما كانَ الكنعانيُّونَ في الأرضِ. وتَراءَى الرّبُّ لأبرامَ وقالَ: لِنَسلِكَ أهَبُ هذهِ الأرضَ»[٦].

هذا النَّص أول ذكْر للوعد الصريح بامتلاك الأرض الموعودة لإبراهيم –عليه السلام– وذريته، فقد تلقى إبراهيم الأمر الإلهي بالذهاب إلى أرض كنعان، فرحل تاركاً أرض آبائه امتثالاً لذلك الأمر،وبعد أن استقر هو ومن معه في أرض كنعان، جاءه الوعد الإلهي –بزعم اليهود– أن تكون هذه الأرض له ولنسله من إسحاق فقط[٧].

لقد جعل كتبة سفر التكوين هجرة إبراهيم –عليه السلام– إلى أرض كنعان لهدف مادي فحسب؛ وهو الاستيلاء على تلك الأرض، واستعباد أهلها الأصليين، وتكون هذه الأرض له ولنسله من بعده، وليس هناك لإبراهيم نسلٌ في الحقيقة يدعى به –كما يدعي اليهود–إلا من إسحاق![٨]

**النَّص الثالث:** جاء في سفر التكوين أنَّ الرّب قال لإبراهيم –عليه السلام–: «أنا الرّبُّ الّذي أخرجَكَ مِنْ أُورِ الكَلدانيِّينَ[٩] لأعطيَكَ هذهِ الأرضَ ميراثا لكَ»[١٠].

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٦/٣)، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد البار (ص٢٤١)، وأرض كنعان ومزاعم التوراة، إدريس اعبيزة (ص٢٨٠).

(٢) ذكر سفر التكوين أن اسمه كان أبرام، ثم غيّره الرَّب فجعله إبراهيم. انظر: سفر التكوين (٥:١٧).

(٣) حاران: اسم من أصل أكادي معناه طريق أو قافلة، وهي مدينة قديمة بين نهري دجلة والفرات، كان أهلها يعبدون الكواكب. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٨٥)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (١/٣).

(٤) بلوطة مورة: اسم كنعاني معناه بلوطة المعلم، وهو موضع بقرب شكيم، وهي مدينة حبرون، وتسمى الآن مدينة الخليل. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٢٨٧)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٢٤٢/٧).

(٥) شكيم: اسم عبري معناه: كتف أو منكب، وهي مدينة قديمة أنشأها الكنعانيون، تقع بين جبلين، واسمها الحالي نابلس. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٥١٤)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٥٣٨/٤).

(٦) انظر: سفر التكوين (١٢: ١–٧).

(٧) انظر:السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص١١٠)، ودليل العهد القديم، ملاك محارب (ص١٧١).

(٨) انظر: الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، محمد البار (ص٧٧)، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية، العروسي (ص٤٦٤).

(٩) أور الكلدانيين: اسم عبري معناه: أور كاسديم، وهي بابل وما والاها، وتقع في جنوب شرق العراق، ما بين النهرين دجلة والفرات. انظر: قاموس الكتاب المقدس،بطرس عبدالملك وآخرون (ص١٢٨)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٥٠٧/١).

(١٠) سفر التكوين (٧:١٥).

وقال إبراهيم -عليه السلام- لكبير عبيده: «اَلرَّبُّ إِلهُ السَّمَاءِ الَّذِي أَخَذَنِي مِنْ بَيْتِ أَبِي وَمِنْ أَرْضِ مِيلاَدِي، وَالَّذِي كَلَّمَنِي وَالَّذِي أَقْسَمَ لِي قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ»[١].

هذا هو سببُ إخراجِ الرّبِ إبراهيمَ من أُورِ الكلدانيين بالعراق، ليعطيَهُ ونسلَه أرض كنعانَ ملكاً أبدياً، كما يدَّعي كتبة السِّفر![٢]

**النَّص الرابع**:بعد أن استقر إبراهيم -عليه السلام- في أرض كنعان، واعتزال لوط -عليه السلام- عنه، يأتيه الرَّب ويكرر له الوعد؛ بأن تكون له ولنسله تلك الأرض، ومناطق جديدة لم تُذكر في الوعد الأول، إذ أمرَه اللهُ أن يقف وينظر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، لأنه سيعطيه كل الأرض التي يراها له ولنسله إلى الأبد، ولا اعتبار للسكان الموجودين، ولا لأصحاب الأرض الأصليين، ثم ما لبث هذا الوعد أن ارتبط بالمشي في الأرض طولها وعرضها[٣]، كما جاء في سفر التكوين:«وقالَ الرّبُّ لأبرامَ بَعدَما فارَقَهُ لُوطٌ: ارْفَعْ عينَكَ وَانْظُر منَ المَوضعِ الّذي أنتَ فيهِ شَمالا وجَنوباً وشَرقاً وغَرباً. فهذهِ الأرضُ كُلُّها أهَبُها لكَ ولِنسلِكَ إلى الأبدِ...قُمِ امْشِ في الأرضِ طُولاً وعَرضاً، لأنِّي لكَ أهَبُها»[٤].

**النَّص الخامس**:لم يقف سفر التكوين على الوعد بأرض كنعان فقط، بل توسّع في مساحة الأرض الموعودة لإبراهيم -عليه السلام- ولنسله من بعده؛فقد جاء أنَّ الرّب قال له: «لِنَسلِكَ أهَبُ هذهِ الأرضَ، مِنْ نهرِ مِصْرَ[٥] إلى النَّهرِ الكبيرِ، نهرِ الفُراتِ»[٦].

ويعتقد اليهود أنَّ إبراهيم -عليه السلام- قد آمن بهذا الوعد رغم أنَّه لم يكن قد رُزق بعدُ بنسل[٧].

---

(١) سفر التكوين (٧:٢٤).

(٢) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٧٦)، والموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، مجموعة من اللاهوتيين (١٢٢/١).

(٣) انظر: فلسطين بين الحقائق والأباطيل، أحمد عبدالوهاب (ص٤٠)، وتفسير سفر التكوين، ديريك كدنر (ص١٢٥).

(٤) سفر التكوين (١٣:١٤-١٦).

(٥) نهر مصر: يقصد به كاتب السفر نهر صغير قديم شرق العريش، وقيل: نهر النيل، ولعل الصواب هو المعنى الأول، خصوصاً في النصوص المتعلقة بحدود أرض الميعاد، فالكتاب المقدس يذكر نهر النيل باسمه كثيراً جداً بل يوضح أنه النهر الذي يمر في وسط أرض مصر، ولكن عندما يتكلم عن حدود أرض الميعاد لا يقول النيل أو نهر النيل، أو نيل مصر، ولكن يستخدم تعبير آخر مختلف وهو نهر مصر، كذلك لم يصف نهر مصر بالنهر الكبير؛ كما وصف نهر الفرات بالكبير، ولو كان المقصود نهر النيل لما وصف نهر الفرات بالكبير وترك نهر النيل وهو أكبر منه، وعليه؛ فإن نهر مصر الوارد في النصوص الكتابية المتعلقة بأرض الميعاد هو نهر صغير في حدود مصر وليس نهر النيل كما يشاع، والله أعلم، وقد جاء التصريح بذلك في نص الكتاب المقدس الدراسي، حيث جاء في سفر التكوين (١٨:١٥): «فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ اللهُ عَهْداً مَعْ أَبْرَامَ قَائِلاً: سَأُعْطِي نَسْلَكَ هَذِهِ الأَرْضَ مِنْ وَادِي الْعَرِيشِ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ». انظر: سفر العدد (٣٤:٥)، وسفر التثنية (١١:٢٤)، وسفر يشوع (١:٣-٤)، وسفر الملوك الأول (٤:٢١)، والكتاب المقدس الدراسي، مجموعة من اللاهوتيين (ص٤٥)، وقاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٩٨٠)، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل، أحمد عبدالوهاب (ص٤٢).

(٦) سفر التكوين (١٥:١٨).

(٧) انظر: الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، مجموعة من اللاهوتيين (١٢٢/١).

وهذا النَّص من أشدِّ النصوص التي يتمسك بها متعصبة اليهود،ويستحث عزائمهم في ادعاء الحق الديني في امتلاك فلسطين، وما جاورها من نهر مصر إلى نهر الفرات، ففلسطين ليست هي الأرض الموعودة عندهم فحسب، وإنَّما هي الممتدة من نهر مصر غرباً إلى نهر الفرات شرقاً[1].

**النَّص السادس:** جاء في سفر التكوين أنَّ الرَّب قال لإبراهيم: «وأُقيمُ عَهداً أبديّاً بَيني وبَينَكَ وبَينَ نَسلكَ مِنْ بَعدكَ، جيلاً بَعدَ جيل، فأكونُ لكَ إلها ولنسلكَ مِنْ بَعدكَ. وأُعطيكَ أَنتَ ونسلَكَ مِنْ بَعدكَ أرضَ غُربَتِكَ، كُلَّ أرضِ كنعانَ، مُلْكاً مؤبَّداً وأكونُ لهُم إلهاً. وقالَ اللهُ لإبراهيمَ: احْفَظْ عَهدي، أنتَ ونسلُكَ مِنْ بَعدكَ جيلاً بَعدَ جيل. وهذا هوَ عهدي الّذي تحفظونَه بَيني وبَينكم وبَينَ نسلكَ مِنْ بَعدكَ: أنْ يُختَنَ كُلُّ ذَكَرٍ منكُم. فتَختنونَ الغُلْفةَ[2] مِنْ أبدانكُم، ويكونُ ذلكَ علامةَ عَهدٍ بَيني وبَينَكُم. كُلُّ ذَكَرٍ منكُم ابنُ ثمانيةِ أيّامٍ تَختنونَه مدَى أجيالكُم، ومِنهُمُ المولودونَ في بُيوتكُم أوِ المقتنيون بمالٍ وهُم غُرَباءُ عَنْ نسلِكُم. فيُختَنُ المولُودون في بُيوتكُم والمقتَنونَ بمالكُم ليكونَ عَهدي في أبدانِكم عَهداً مؤبَّداً. وأيُّ ذَكَرٍ لا يُختَنُ يُقطَعُ مِنْ شعبِه لأنَّهُ نقَضَ عَهدي»[3].

هذا النَّصُ –الذي هو أكثر قوةً وصراحة في شأن الوعد– يبين بكل وضوح ظهورَ الرّبِ لإبراهيمَ مرَّة أخرى ليجدد له الوعد بإعطائه كل أرض كنعان ملكاً أبدياً له ولنسله من بعده، وجعل الختان علامة لذلك الوعد، ومن لا يختتن يكن عقوبته الموت، لأنه نكثٌ للعهد[4]، يقول سفر التكوين: «هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ الَّذِي عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ: أَنْ يُخْتَتَنَ كُلُّ ذَكَرٍ مِنْكُمْ تَخْتِنُونَ رَأْسَ قُلْفَةِ غُرْلَتِكُمْ فَتَكُونُ عَلامَةَ الْعَهْدِ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ»[5].

وإن كان هذا الوعد على عهد إبراهيم –عليه السلام– عاماً قد يستغرق كل نسله، فقد عمَدَ كتبة السفر إلى تخصيصه بإسحاق دون إسماعيل–عليهما السلام– إذ يروي سفر التكوين أنَّ إبراهيم كان يظن أن إسماعيل هو وريث العهد والوعد؛ لذلك قال لله: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ»[6]، فأجابه الله مؤكداً وعده بميلاد ابن من سارة: «بل

---

(١) انظر: الصهيونية النصرانية، محمد العلي (ص٢٢٣).
(٢) القلفة: هي الجزء المقطوع بالختان. انظر: دائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٢٣٧/٣).
(٣) سفر التكوين (١٧: ٧-١٤).
(٤) انظر: المكدَّس في الكتاب المقدَّس، يحي أبو صبيح الإلياسي (ص١٤٥)، ودليل العهد القديم، ملاك محارب (ص١٧٢)، وشرح سفر التكوين، يوحنا المقاري (ص٢٤٠).
(٥) سفر التكوين (١٧: ١٠-١١) ترجمة البستاني وفانديك.
(٦) سفر التكوين (١٧: ١٨).

سارةُ امْرَأَتُكَ ستَلِدُ لكَ ابْنًا وتُسمِيهِ إسحَاقَ، وأُقيمُ عَهدي معَه عَهداً مُؤبَّداً لِنسلِه مِنْ بَعدِه»[(١)].

ومع أنَّ هذا الوعد وقَعَ بعد مولد إسماعيل -عليه السلام- إلا أنَّ كتبة السفر أخرجوه من هذا الوعد بصورة قصدية لإثبات تكوين نسل إبراهيم -عليه السلام- من إسحاق وحده.

**النَّص السابع**:قال سفر التكوين: «وكانَ في الأرضِ جُوعٌ غيرُ الجُوعِ الأوَّلِ الَّذي كانَ في أيّامِ إبراهيمَ، فذهبَ إسحَاقُ إلى أبـي مالكَ[(٢)]، مَلِك الْفلسْطينِيِّين في جَرارَ[(٣)]. فتراءى لَه الرّبُّ وقالَ: لا تَنْزِلْ إلى مصرَ، بلِ اسْكُنْ في الأرضِ الّتي أدُلُّكَ علَيها. تغَرَّبْ بهذِهِ الأرضِ وأنا أكونُ معَكَ وأُباركُكَ، فأُعطيَ لكَ ولِنسلِكَ جميعَ هذِهِ البِلادِ، وأفي باليمينِ الّتي حلَفتُها لإبراهيمَ أبيكَ»[(٤)].

فيذكر سفر التكوين أنَّ إسحاق -عليه السلام- أراد أن يذهب إلى مصر،بعد موت إبراهيم -عليه السلام- وحصول المجاعة في فلسطين، فظهر له الرّبُ وأعطاه وعداً بامتلاكه وذريته أرض الميعاد، وأمره أن يقيم بها، وبهذا تحقق له أن يرثها بمقتضى الوعد له، ولأبيه إبراهيم -عليه السلام-[(٥)].

لقد عمد مؤلفو السِّفر إلى تحويل الوعد الإلهي بتمليك الأرض المقدسة من إبراهيم إلى إسحاق ونسله دون إسماعيل ونسله، لأن الله -كما يدَّعون-قال لإبراهيم -عليه السلام-: «بِإِسْحَاقَ يُكونُ لَكَ نَسْلٌ»[(٦)]، وهي حيلة ماكرة من قِبل كتبة السِّفر لقطع نسل إسماعيل -عليه السلام-.

إنَّ ابن هاجر عند كتبة سفر التكوين لن يكون إلا إنساناً وحشيًّاً يعيش في براري الصحراء، ويعادي إخوانه ويعادونه: «وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ»[(٧)]، أي يده ستعادي جميع الناس، وأيدي جميع الناس ستعاديه، ويدلُّ على هذا المعنى ما جاء في ترجمة كتاب الحياة: «وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ

(١) سفر التكوين (١٩:١٧).

(٢) أبي مالك: اسم عبري، معناه أبو مالك أو الأب ملك، وهو اسم ملك في فلسطين عاش في عصر إبراهيم -عليه السلام- ومن المحتمل أن أبي مالك كان لقباً ملكياً أكثر منه اسم علم. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٢٥٤)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٦٧/١).

(٣) جرار: اسم عبري معناه جَرَّة أي الآنية الفخارية المعروفة، ومدينة جرار تقع جنوبي غزة، وشرقي خان يونس بفلسطين. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٢٥٤)، وموسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، زكي شنودة (٦/٨).

(٤) سفر التكوين (١:٢٦-٣).

(٥) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص١٢٨)، وأرض كنعان ومزاعم التوراة، إدريس اعبيزة (ص٢٨٦).

(٦) سفر التكوين (١٢:٢١).

(٧) سفر التكوين (١٠:١٦-١٢) ترجمة البستاني وفانديك.

الرّبِّ: هُوَذَا أَنْت حَامِلٌ، وَستَلدينَ ابْناً تَدْعينَهُ إِسْمَاعيلَ...وَيَكُونُ إِنْسَاناً وَحْشِيّاً يُعَادي الْجَميعَ وَالْجَميعُ يُعَادُونَهُ، وَيَعيشُ مُسْتَوْحِشاً مُتَحَدِّياً كُلَّ إِخْوَتِه»[١].

ثمَّ يؤكد كتبة السفر هذه الأمر على لسان سارة زوجة إبراهيم –عليه السلام– بعد أن ولدت ابنها إسحاق –عليه السلام– ورأت أنَّه لا بدَّ من طرد إبراهيم –عليه السلام– هاجر وابنها إسماعيل –عليه السلام– من مكان سكنها وابنها، وجعلوا السبب الرئيس لهذا الطرد كي لا يرث مع ابنها إسحاق[٢]، حيث قالوا:«وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمصْرِيَّةِ الَّذي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهيمَ يَمْزَحُ[٣]. فَقَالَتْ لإِبْرَاهيمَ: اطْرُدْ هذه الْجَارِيَةَ[٤] وَابْنَهَا، لأَنَّ ابْنَ هذه الْجَارِيَة لاَ يَرِثُ مَعَ ابْني إِسْحَاقَ. فَقَبُحَ الْكَلاَمُ جدًّا في عَيْنَيْ إِبْرَاهيمَ لسَبَب ابْنه. فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهيمَ: لاَ يَقْبُحُ في عَيْنَيْكَ منْ أَجْلِ الْغُلاَمِ وَمنْ أَجْلِ جَارِيَتكَ. في كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لقَوْلهَا، لأَنَّهُ بإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ»[٥].

يقول أحد شُرَّاح الكتاب المقدس: «شقَّ على سارة أن ترى ابن هاجر يسخر من ابنها، فطلبت إلى إبراهيم أن يطردهما حتى لا يرث مع ابنها»[٦].

وهل يُعقل صدور مثل هذا الفعل من طفل رضيع! فقد ثبت أنَّ إبراهيم –عليه السلام– خرج بهاجرَ وبإسماعيلَ وهو طفلٌ يرضع[٧].

**النَّص الثامن:** تلقى يعقوب بعد وفاة أبيه إسحاق –عليهما السلام– وعداً إلهياً بتملك الأرض التي وعد بها جدُّه إبراهيمُ، وأبوه إسحاقُ–عليهما السلام–وفي هذا يقول سفر التكوين: «وتراءى اللهُ ليعقوبَ...وقالَ لَه: اسمُكَ يعقوبُ. لا يُدعَى اسمُكَ بَعدَ الآنَ يعقوبَ، بل إسرائيلَ. فسمَّاهُ إسرائيلَ...والأرضُ الّتي وهَبْتُها لإبراهيمَ وإسحَقَ أهبُها لكَ ولِنَسلِكَ مِنْ بَعدكَ»[٨].

ويقول: «وخرَجَ يعقوبُ مِنْ بئرَ سَبْعَ[٩] وذهبَ إلى حارانَ. فوصلَ عندَ غيابِ الشَّمسِ إلى موضعٍ رأى أنْ يبيتَ فيه، فأخذَ حجَراً مِنْ حجارةِ المَوضِعِ ووضَعَهُ

---

(١) سفر التكوين (١٦: ١٠–١٢) ترجمة كتاب الحياة، وهي ترجمة أقرب ما تكون تفسيرية نظراً لسهولة ألفاظها.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٤٤٣)، والسنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص١٠٨)، ذكر بعض شُراح سفر التكوين حول طرد سارة لهاجرٍ وابنها عدداً من التعليقات، وتركزت على أنَّ إسماعيل ارتكب شراً يوصف بأنه فظيع! وهذه التعليقات بعيدة لا يؤيدها النص الكتابي المنقول في السفر، ويعارضها بعض الشُراح من جهة أخرى، والأمر لا يعدو أن يكون غيرة حصلت بين امرأتين، كيف والنص يدل على حرص سارة أن يكون الوارث لإبراهيم هو ابنها إسحاق دون غيره. انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص١٠٨، وسفر التكوين تاريخ الكون والإنسان، بولس الفغالي (ص٢٦٦).

(٣) يرى بعض اللاهوتيين أن معنى يمزح هنا: يسخر ويتهكم. انظر: تفسير سفر التكوين، نجيب جرجس، (ص٢٥٥)، وتفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص٢٧٢)، وشرح سفر التكوين، آدم كلارك (ص٢٣٨).

(٤) الجارية هنا: الأَمَة، وهي ضد الحرة. انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص١٠٨).

(٥) سفر التكوين (٢١: ٩–١٢) ترجمة البستاني وفاندايك.

(٦) انظر: تفسير سفر التكوين، نجيب جرجس (ص٢٥٥).

(٧) انظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (٤٦٢/٢) الحديث (٣٣٦٤)، وقصص الأنبياء، ابن كثير (٢٠٣/١).

(٨) سفر التكوين (٣٥: ٩–١٢).

(٩) بئر سبع: كلمة عبرية معناها بئر السبعة أو بئر القَسَم، تقع في أقصى شمال الجزيرة العربية، وجنوب فلسطين. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص١٥٠)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٣/٢).

تَحتَ رأسِهِ ونامَ هُناكَ. فحلَمَ أنَّه رأى سُلَّما منصوبةً على الأرضِ، رأسُها إلى السَّماءِ، وملائكةُ اللهِ تصعَدُ وتنزِلُ علَيها. وكانَ اللهُ واقفاً عَلى السُّلَّمِ يقولُ: أنا الرّبُّ إلهُ إبراهيمَ أبيكَ وإلهُ إسحَاقَ! الأرضُ الّتي أنتَ نائمٌ علَيها أهبُها لكَ ولِنسلِكَ»(١).

**النَّص التاسع:** جاء في سفر التكوين: «وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: اللهُ القديرُ ظهَرَ لي في أرضِ كنعانَ، وبارَكني. وقالَ لي: أُعطي نسلَكَ هذِهِ الأرضَ مِنْ بَعدِكَ مُلْكا أبديًّا»(٢).

وعندما أحسَّ يوسف -عليه السلام- بالموت، قال لإخوته: «أَنَا أَمُوتُ، وَلَكِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ وَيُصْعِدُكُمْ مِنْ هذهِ الأَرْضِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ»(٣).

وهكذا يستمر كتبة السِّفر في تحويل الوعد الإلهي من إبراهيم حتى يصلوا به إلى يهوذا(٤)، رابع أبناء يعقوبدون غيره من الأسباط، «يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ»(٥)، وهنا يتساءل أصحاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: «لماذا كانت بركة يهوذا، وهو من أشر أبناء يعقوب، عظيمة هكذا؟»(٦).

والجواب: أنَّ كتبة السِّفر لم يجعلوا هذا الوعد يأتي لإبراهيم بادئ ذي بدء إلا ليحولوه إلى إسحاق دون إسماعيل وأبنائه، وإلا ليتخذوا من إسحاق وسيلة إلى تحويل هذا الوعد إلى يعقوب،ليحصروه في سلالة يعقوب دون غيرهم، حتى يمكنهم بعد ذلك تحويل الوعد إلى ذرية داود لينحصر في مملكة الجنوب دون الشمال، وتعود مملكة يهوذا إلى الوجود، هذا هو الهدف الأخير الذي استهدفه كتبة سفر التكوين(٧).

وعلى هذا؛يعتقد اليهود أنَّهم ينتسبون إلى يعقوب، فإسحاق، فإبراهيم، وأنَّهم شعب الله المختار، فهم الأحق إذاً بأرض الميعاد

**المطلب الثاني: نقد الوعد بأرض الميعاد:**

بعد عرض واستقراء نصوص الوعد بتمليك أرض الميعاد في سفر التكوين، ومفهومها في الفكر اليهودي، يمكن نقد هذا الوعد ونصوصه، ومغالطات اليهود فيه، في النقاط الآتية:

---

(١) سفر التكوين (٢٨: ١٠-١٣).
(٢) سفر التكوين (٤٨: ٣-٤).
(٣) سفر التكوين (٥٠: ٢٤).
(٤) انظر: تفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص٣٠٥).
(٥) سفر التكوين (٤٩: ٨).
(٦) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من اللاهوتيين (ص٦٢).
(٧) انظر: إبراهيم -عليه السلام- في أسفار اليهود، فاطمة خالد (ص٣٢٠)، وموسوعة المجتمعات الدينية، طوني مفرج (ص٤٢).

**أولاً:** إنَّ الله –عز وجل–حينما وَعَدَ إبراهيم –عليه السلام– بأرض الميعاد ولخلفه إلى آخر الدهر، اتصل هذا الوعد بالأمة المحمدية، بل ما كَمَلَ، ولا كان أعظمَ منه في هذه الأمة المحمدية[1]، ويُؤيِّدُ ذلك حديث ثوبان –رضي الله عنه–قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وَسلَّم: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا – أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا– حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[2].

فهذا الحديث عَلَم من أعلام نبوته صلَّى اللَّه عليه وسلَّم لظهوره كما قال، وأن مُلْكَ أمَّته اتسع في المشارق والمغارب[3].

**ثانياً:** إنَّ نصوص سفر التكوين المتعلِّقة بالوعد بأرض الميعاد،مقيَّدة بالالتزام بالوصايا والأوامر والفرائض والشرائع، فقد جاء أنَّ الرَّب تراءى لإبراهيم –عليه السلام– وقال له: «أنا اللهُ القديرُ! أُسلُكْ أمامي وكُنْ كاملا. فأجعَلَ عَهدي بَيني وبَينَكَ...وأُقيمُ عَهدا أبديًّا بَيني وبَينَكَ وبَينَ نَسلكَ منْ بَعدكَ، جيلا بَعدَ جيلٍ...وأُعطيكَ أَنتَ ونسلَكَ منْ بَعدكَ أرضَ غُربَتكَ، كُلَّ أرضِ كنعانَ»[4].

وقال لإسحاق –عليه السلام–: «تغَرَّبْ في هذه الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذه الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ...مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي»[5].

فوعود الله –تعالى– لليهود كانت دائماً معلَّقة على شرط واضح لا يمكن منحها إلا باستيفائه؛ وهو أن يطيعوا الله، ويعملوا بأحكامه ووصاياه، ويدينوا له فلا يعبدوا سواه، وإلا انقلب وعده إلى وعيد، وتحولت نعمته إلى نقمة[6].

فهل حافظ اليهود على شريعة الله –تعالى– وأوامره؟

---

(1) انظر:البداية والنهاية، ابن كثير (353/1).
(2) أخرجه مسلم، كتاب صفة الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (2215/4) الحديث (2889).
(3) انظر: إكمال المعْلِم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (425/8).
(4) سفر التكوين (17:1–8).
(5) سفر التكوين (26:3–5) ترجمة البستاني وفانديك.
(6) انظر: المجتمع اليهودي، زكي شنودة (ص547)، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، العروسي (232/1).

إن المتأمل في حال اليهود يجد أنَّهم قد نقضوا الميثاق، وأعرضوا عن الله –تعالى– وعبدوا غيره من الآلهة والأوثان، ولقد سجَّل الله –تعالى– عليهم هذا الإعراض، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾[البقرة:٨٣].

والعهد القديم بأسفاره، يؤكد في عدد من المواطن أنَّ اليهود قد انحرفوا عن عبادة الله، وعبدوا آلهة وأوثاناً أخرى[١]، وتركوا شرائع الله وفرائضه، وحرّفوا كلامه، وكلَّما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذَّبوه أو قتلوه،[٢]، ولا يكاد يخلو سفر من أسفارهم المقدَّسة من عبارات الغضب التي صبَّها الله عليهم بسبب عبادتهم غيره، وارتكابهم الشرور في كل مراحل تاريخهم[٣]، ومن شواهد ذلك ما جاء في سفر القضاة: «وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ[٤]..وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَلَمْ يَعْبُدُوهُ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ[٥] عَلَى إِسْرَائِيلَ»[٦]، وجاء صريحاً أنَّ الله –تعالى– قد رفضهم، وألغى العهد معهم، فقال: «هأَنَذَا...أَرْفُضُكُمْ مِنْ أَمَامِ وَجْهِي، أَنْتُمْ وَالْمَدِينَةَ الَّتِي أَعْطَيْتُكُمْ وَآبَاءَكُمْ إِيَّاهَا. وَأَجْعَلُ عَلَيْكُمْ عَارًا أَبَدِيًّا وَخِزْيًا أَبَدِيًّا لاَ يُنْسَى»[٧]، فبسبب ذنوبهم أُلغي هذا الوعد، وحرموا منه إلى الأبد[٨].

**ثالثاً**:إنَّ قصر الوعد على إسحاق –عليه السلام– دون إسماعيل –عليه السلام– يتعارض مع نصوص سفر التكوين الصريحة أن الوعد يشمل إبراهيم –عليه السلام– ونسله كلهم، دون استثناء، ولذا جاءت لفظة (نسلك) الواردة في نصوص السفر عامَّة مطلقة لم تقيَّد، ولو كان المقصود بها واحداً منهم دون غيره لجاء النَّص هكذا: (ولواحد من نسلك بعدك) فالوعد إذا ليس لإسحاق فقط كما يدعي اليهود؛ بل لكل نسله، فكما أنَّ إبراهيم أب لإسحاق فهو أب لإسماعيل، وقد اعترف سفر التكوين بذلك، فقال: «وابنُ الجاريةِ أيضا أجعلُهُ أُمَّةً لأنَّهُ مِنْ صُلبكَ»[٩].

لقد أراد اليهود قطع صلات الأخوة بين إسماعيل وإسحاق، لكي يظهر إسحاق وحيداً في مخصوصية الوعد بامتلاك أرض الميعاد، ويَخرجُوا من تَبِعةِ إلزامهم بدخول

---

(١) يعترف بعض اليهود بذلك، قال سعيد كمونة: «وأهل زمان موسى كان مرضهم عبادة الأصنام والكواكب وغيرها». انظر: تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث (ص٤١).
(٢) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية (١٦٩/٥).
(٣) نظر: شرح سفر التكوين، آدم كلارك (ص٥٨٦)، والموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، مجموعة من اللاهوتيين (١٢٦/١).
(٤) «يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ» وصفَ اليهود بهذه العبارة في العهد القديم (٥١) مرّة.
(٥) «فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ» تكررت هذه العبارة في العهد القديم (٣٠) مرّة، في معرض بيان شدة غضب الله على اليهود، حينما لم يعملوا بوصاياه وأحكامه وشرائعه.
(٦) سفر القضاة (١٠:٦–٩).
(٧) سفر إرميا (٢٣:٣٩–٤٠).
(٨) انظر: موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود قدح (ص٢٩٢).
(٩) سفر التكوين (٢١:١٢).

ذرية إسماعيل في هذا الوعد، ولم يقف الحرمان من هذا الوعد على إسماعيل فقط، بل امتد إلى كل أبناء إبراهيم ما عدا إسحاق! وجعل كل أبناء إبراهيم أبناء سراري[١]: «ووَهبَ إبراهيمُ لإسحَاقَ جميعَ ما يَملِكهُ. وأمَّا بَنو سراريهِ فأعطاهُم عَطَايا وصرفَهُم، وهوَ بَعدُ حيٌّ، عَنْ إسحَاقَ ابنه إلى أرضِ المَشرِقِ»[٢].

**رابعاً:** إنَّ دعوى اليهود بامتلاك أرض كنعان وما جاورها، يتناقض مع ما وردفي سفر التكوين من وصف أرض فلسطين بأرض غربة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب–عليهم السلام–حيث يقول السِّفر: «وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ»[٣].

وأما إسحاق –عليه السلام– فقد ظهر له الرّب،وقال له: «تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ»[٤]، ولما عاد يعقوب –عليه السلام– من فَدَّان آرام[٥]بعد رحلة زواجه: «سَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ»[٦]، ولم يقل سفر التكوين: أرض أبيك، ولا أرض جدّك إبراهيم، ولا أرضك، ولا أرض نسلك، وإنَّما ذكر الحقيقة كما هي: أرض كنعان[٧].

**خامساً:** قد يقول قائل: إنَّ الوعد الإلهي لهم بأرض الميعاد قد جاء في القرآن الكريم في قول الله –تعالى– على لسان موسى –عليه السلام–: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِين﴾[المائدة: ٢١].

والجواب أن يقال: إنَّ قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ ﴾ ليس هو تمليك على رأي بعض العلماء، وعلى الرأي الآخر: هو تمليكٌ لهم بشرط أن يدخلوها، وعلى رأي البعض: هي هبةٌ لهم[٨].

ومع كل هذه الآراء؛ فليس في الآية دليل على أنَّ لهم حق التملك الأبدي في فلسطين، فالأمر الذي عليه جمهور المفسرين هو أنَّ عبارة الآية لا تدلُّ على التأبيد، وذلك لأنَّ الله ينعم على عباده المؤمنين في حال الإيمان بنعم كثيرة، وهي لهم في حال الإيمان، أما في حال الكفر فلا حق لهم بها، وبنوا إسرائيل حين أمرهم الله بالدُّخول نكلوا، فمنعهم منها، وحين استجابوا وأطاعوا منحها الله لهم، ولهذا قال ابن كثير

---

(١) أبناء السراري: المقصود بهم أبناء هاجر وقطورة. انظر: تفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص٢٩٤).
(٢) سفر التكوين (٢٥:٥–٦).
(٣) سفر التكوين (٢١:٣٤).
(٤) سفر التكوين (٢٦:٣).
(٥) فَدَّان آرام: مدينة آرامية تقع في شم الشرق سوريا، أو بين النهرين. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٦٧٢)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٢١/٦).
(٦) سفر التكوين (٣٧:١) ترجمة البستاني وفاندايك.
(٧) انظر: فلسطين بين الحقائق والأباطيل، أحمد عبدالوهاب (ص٥٤)، وتفسير سفر التكوين، القديس يوحنا الذهبي الفم (ص١٠٣).
(٨) انظر هذه الآراء وغيرها في: جامع البيان، الطبري (٢٨٤/٨)، وفتح القدير، الشوكاني (٣١/٢)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف (ص٥٦).

-رحمه الله- في الآية: «أيِ: التي وعدَكُمُوها الله على لسان أبيكم إسرائيل: أنه وراثة من آمن منكم»[١].

كما يمكن القول: أنَّوعد الله لهم قد تحقق بعد موسى -عليه السلام- على يد يوشع بن نون -عليه السلام-وأقاموا فيها زمناً في عهدي داود وسليمان -عليهما السلام- وتحققت لهم في هذين العهدين كل آمالهم، حينما فضلهم الله -عز وجل- على عالمي زمانهم، وقد أشارت بعض نصوص العهد القديم إلى هذا، يقول سفر يشوع: «وأعطى الرّبُّ لبَني إسرائيلَ جميعَ الأرضِ الّتي حلَفَ أنَّهُ يُعطيها لآبائهم، فتَملَّكوها وأقاموا فيها»[٢]، ويقول: «وما سقَطَ مِنْ وَعدٍ واحدٍ مِنْ جميعِ الوعودِ الّتي قالَها الرّبُّ لبَني إسرائيلَ بل كُلُّها تَمَّت»[٣]، لكن حينما كفروا بالله، وأفسدوا في الأرض، غضب الله عليهم فعذبهم وسلَّط عليهم من يسومهم سوء العذاب، وحرمهم الأرض المقدسة، وشردهم وشتتهم في الأرض[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧٥/٣).
(٢) سفر يشوع (٢١:٤٣).
(٣) سفر يشوع (٢١:٤٥).
(٤) انظر: معالم تاريخ الإنسانية، ويلز (٢٨٧/٢)، وتفسير سفر التكوين، نجيب جرجس (ص٢٢٦)، والموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، مجموعة من اللاهوتيين (٣٣٧/٤)، وتفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص٣٠٧)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف (ص٤٩)، وموجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود قدح (ص٢٩٠).

## المبحث الثاني

## الوعد بتكثير النسل في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي، ونقده

وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: نصوص الوعد بتكثير النسل في سفر التكوين، ومفهومها في الفكر اليهودي:

اهتم سفر التكوين اهتماماً كبيراً بعقيدة الوعد الإلهي بتكثير النسل، حيث اشتمل على النصوص الكثيرة التي تؤصل لهذه العقيدة، وادعاء اليهود اختصاصهم بهذا الوعد دونغيرهم من الناس.

ولمعرفة حقيقة هذا الوعد، لا بد من عرض أهم النصوص التي يتمسك بها اليهود، ويستندون عليها، وذلك على النحو الآتي:

**النَّص الأول:** جاء الوعد بكثرة النسل الذي لا يعدُّ ولا يحصى لإبراهيم –عليه السلام– بعد عودته من مصر، واعتزاله للوط –عليه السلام– بالقول: «وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ»[1]، فاليهود يعتقدون أنَّ الله –تعالى– وعد إبراهيم –عليه السلام– بالإنجاب وبتكثير نسله من امرأته سارة، بحيث يصبحوا من الكثرة العددية مثل تراب الأرض، وهو وعدٌ غير مشروط، لا بد أن يتمه الرّب لهم[2].

**النَّص الثاني:** يزعم كتبة سفر التكوين أنَّ إبراهيم –عليه السلام– لم يثق بهذا الوعد، بل كان شاكاً فيه[3]، ولهذا سأل الرّب عن حقيقة هذا النسل، فأكَّد له الرّب وعده بالكثرة التناسلية المبالغ في عدّها: «قالَ أبرامُ: يا سيِّدي الرّبُّ ما نَفْعُ ما تُعطيني وأنا سأموتُ عَقيمًا، ووارثُ بَيتي هوَ أليعازَرُ الدِّمَشقيُّ!. وقالَ أبرامُ أَيْضًا: «ما رزَقْتَني نسْلاً، وربيبُ بَيتي هوَ الّذي يَرِثُني. فقالَ لَه الرّبُّ: لا يَرِثُكَ أليعازَرُ، بل مَنْ يخرُجُ مِنْ صُلْبِكَ هوَ الّذي يَرِثُكَ. وقادَهُ إلى خارجٍ، وقالَ لهُ: أنظُرْ إلى السَّماءِ وعُدَّ النُّجومَ إنْ قَدِرْتَ أنْ تَعُدَّها. وقالَ لهُ: هكذا يكونُ نسلُكَ»[4].

لم يَعدِ اللهُ إبراهيمَ بالثروة أو الشهرة، فقد كان يمتلكها،لكنَّه وعدَه –حسب زعم اليهود– بنسل كنجوم السماء، أكثر من أن يُعدّ،ويتعذر إحصاؤه، بحيث يكون كعدد

(١) سفر التكوين (١٣:١٦).
(٢) انظر: الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، مجموعة من اللاهوتيين (ص١٠٢).
(٣) انظر: سفر التكوين (١٥:٥)، والتفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من اللاهوتيين (ص٦٢).
(٤) سفر التكوين (١٥:٢-٦).

نجوم السماء في الكثرة[1]، وصدّق إبراهيمُ -عليه السلام- وعدَ ربه حينما وعده بأن يعطيه نسلاً رغم شيخوخته، واعتبر الرّب هذا التصديق عملاً عظيماً من إبراهيم يستحق عليه الأجر والبرّ[2]، يقول سفر التكوين: «فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا»[3].

ويرى بعض اللاهوتيين: «أنَّ هذا الفعل من إبراهيم يدل على إيمانه العظيم بالله فرغم أنَّ الكلام يفوق العقل، إذ هو رجل عجوز، والله يعده بنسل لا يمكن أن يُعدّ، ولكنه آمن فصار هذا دليلاً على صلاحه وبره»[4].

في حين أنَّ أصحاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس يرون:«أنَّ إبراهيم كان شاكاً في إيمانه بالله، متسائلين كيف أمكن أن يشكَ إبراهيمُ في وعد الله؟ لقد اهتز إيمان إبراهيم في وعد الله، اهتز إيمان الرجل الذي حسبه الله باراً»[5].

**النَّص الثالث:** عندما جدَّد الله -تعالى- عهده مع إبراهيم -عليه السلام- جاء التذكير بكثرة نسله: «فَأَجعَلَ عَهدي بَيني وبَينَكَ وأُكثِّرَ نسلَكَ جدًّا. فوَقَعَ أبرامُ على وجهِهِ ساجداً وقالَ لَه اللهُ: هذا هوَ عَهدي معَكَ: تكونُ أبا لأُمَمٍ كثيرةٍ. ولا تُسمَّى أبرامَ بَعدَ اليومِ، بل تُسمَّى إبراهيمَ، لأنِّي جعَلْتُكَ أبا لأُمَمٍ كثيرةٍ. سأُنميكَ كثيراً جدًّا، وأجعَلُكَ أُمَماً، ومُلوكٌ منْ نسلِكَ يَخرجونَ. وأُقيمُ عَهداً أبديًّا بَيني وبَينَكَ وبَينَ نَسلِكَ مِنْ بَعدِكَ، جيلاً بَعدَ جيلٍ»[6].

وهكذا وعد اللهُ إبراهيمَ-عليه السلام- أنّه سَيكثِّرُ نسله، وسيجعلُ منه أباً لأمم عظيمة، وملوكٍ كثيرين، وكان من علامات هذا العهد، تغيير الله لاسمه من أبرام إلى إبراهيم، وكان هذا الوعد بعد ولادة إسماعيلَ، وقبل ولادة إسحاق -عليهما السلام-[7].

**النَّص الرابع:** ثم يتكرر هذا الوعد مرَّة أخرى، حيث يقول السِّفر: «ونادى ملاكُ الرّبِّ إبراهيمَ ثانيةً منَ السَّماءِ. وقالَ: بنفْسي أقسمْتُ، يقولُ الرّبُّ: بما أنَّكَ فعلْتَ هذا وما بَخِلْتَ بابنِكَ وحيدِكَ. فأُباركُكَ وأُكثِّرُ نسلَكَ كنجُومِ السَّماءِ والرَّملِ الّذي على شاطئِ البحرِ. ويَرِثُ نسلُكَ مُدُنَ أعدائِه. ويتباركُ في نسلِكَ جميعُ أُمَمِ الأرضِ لأنَّكَ سَمِعْتَ لي»[8].

يدَّعي النَّص أنَّ ملاك الرّب تجلى لإبراهيم -عليه السلام- وأخبره بأنَّ الرّب سَيكثّرُ نسله تكثيراً كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر؛ لأنه امتثل أمره

---

(١) انظر: شرح سفر التكوين، آدم كلارك (ص١٨٠)

(٢) انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من اللاهوتيين (ص٣٩)، والسنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، ولـيم مارش (ص٣٩)، وتفسير سفر التكوين، جرجس (ص٢٢١).

(٣) سفر التكوين (٦:١٥) ترجمة البستاني وفانديك.

(٤) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، مجموعة من اللاهوتيين (ص١٢٢)، وقريب من هذا الكلام قاله القديس يوحنا الذهبي الفم في تفسيره لسفر التكوين (ص١٠٠).

(٥) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من اللاهوتيين (ص٦٢).

(٦) سفر التكوين (٢:١٧-٧).

(٧) انظر: إبراهيم عليه السلام في أسفار التوراة، فاطمة ردمان (ص٣٣٧)، وتفسير سفر التكوين، نجيب جرجس (ص٢٣٠).

(٨) سفر التكوين (١٥:٢٢-١٨).

بالشروع في ذبح ولده إسحاق[١]، في حين يرفع إبراهيمُ السكين ليهوي بها إلى قلب إسحاق، ناداه ملاك الرّب بأن لا يفعل شيئاً، ولـمَّا تجاوب مع النداء، وجدَ الجزاء من الله على طاعته الكاملة[٢].

**النَّص الخامس:** وعدَ الرّبُ –تعالى– سارةَ بتكثير نسلها من إبراهيم –عليه السلام–: «وقالَ اللهُ لإبراهيمَ: أمَّا ساراي امْرَأَتُكَ فلا تُسَمِّها ساراي، بل سارَةَ. وأنا أُبارِكُها وأُعطيكَ منها ابْناً، أُبارِكُها فيكونُ منها أمَمٌ وشُعوبٌ، ويَخرُجُ مِنْ نسلِها مُلوكٌ»[٣].

لم تُذْكَر هنا هاجر ولا ابنها؛ لأنّ الوعد كان لإبراهيم ونسله من إسحاق، فإسحاق ابن الوعد دون إسماعيل[٤].

**النَّص السادس:** ثم يأتي وعدُ الرّبِ لإسحاقَ –عليه السلام– بتكثير نسله كنجوم السماء، كما كان لأبيه إبراهيم –عليه السلام– حيث قال له: «وأُكَثِّرُ نسلَكَ كنجومِ السَّماءِ وأُعطيهم جميعَ هذهِ البلادِ»[٥]، وقالَ له –أيضاً–: «أنا إلهُ إبراهيمَ أبيكَ. لا تَخفْ، فأنا مَعكَ وأباركُكَ وأُكثِّرُ نسلَكَ مِنْ أجلِ عبدي إبراهيمَ»[٦]، فقد قصرتْ نصوص السِّفر الوعد على إسحاق ونسله دون إسماعيل ونسله، فهم الذين سيكونون مثل تراب الأرض، وكنجوم السماء كما يعتقد اليهود[٧]، فتكثير نسلهم علامة على غلبة هذا النسلِ على النسلِ الملعون –بزعمهم– نسل الكنعانيين.

**النَّص السابع:** ثم يأتي وعدُ الرّب ليعقوبَ –عليه السلام– بتكثير نسله، بحيث يكون من الكثرة كعدد نجوم السماء، كما كانت لأبيه إسحاق –عليه السلام– ويمكن أن نجمل حديث سفر التكوين عن هذا الوعد ليعقوب –عليه السلام– في صورتين، هما:

١– دعاء إسحاق لابنه يعقوب بتكثير نسله، ويكونُ نسلُه بركةً لكل الشعوب، حيث قال له: «وَاللهُ الْقَدِيرُ يُبَارِكُكَ، وَيَجْعَلُكَ مُثْمِرًا، وَيُكَثِّرُكَ فَتَكُونُ جُمْهُورًا مِنَ الشُّعُوبِ»[٨].

٢– ظهور الرّب ليعقوب –عليه السلام– ووعده بكثرة النسل، وقد كان ذلك مرتين:

---

(١) والنصارى قد تابعوا اليهود في اعتقادهم أن الذبيح إسحاق –عليه السلام– وشاركوهم في كراهيتهم لإسماعيل –عليه السلام– ولم يتورعوا عن الجهر بالإساءة إليه والتصريح بالنيل منه، ولا شك أن الذبيح هو إسماعيل –عليه السلام–وعلى ذلك سار جمهور العلماء. للتوسع في قصة الذبيح انظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم (٣٥٤/٢)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣٣/٧)، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، العروسي (٤٩٧/٢).

(٢) انظر: التفسير الحديث للكتاب المقدس سفر التكوين، ديريك كدنر (ص١٤٣)، والملائكة رسل الله المختفون، بيللي جراهام (ص٤٣).

(٣) سفر التكوين (١٧:١٥–١٦).

(٤) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٩٤).

(٥) سفر التكوين (٢٦:٤).

(٦) سفر التكوين (٢٦:٢٤).

(٧) انظر: الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، مجموعة من اللاهوتيين (ص١٣٥).

(٨) سفر التكوين (٢٨:٣).

الأولى: في المنام.

والثانية: في اليقظة.

فأما التي في المنام، فقد كانت أثناء توجه يعقوب إلى فَدّان آرام، حيث نام في الطريق ورأى الرّب في المنام، ووعده بالقول: «وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»(1).

وأما التي في اليقظة، فقد كانت أثناء عودة يعقوب من فَدّان آرام، حيث ظهرَ له الرّب، وقال له: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ، وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ»(2).

ويمنحُ يعقوبُ -عليه السلام- الوعدَ بكثرة النسل ليوسفَ وبنيه(3)مَنَسَّى(4) وأفْرَايم(5)، فقد قال عن يوسف: «غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ، غُصْنُ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ عَلَى عَيْنٍ ماءٍ. أَغْصَانٌ قَدِ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ حَائِطٍ»(6).

فيوسف -عليه السلام- قد: «وصف بأنه غصن شجرة مثمرة؛ أي: فرع من شجرة مثمرة، لأن يعقوب أباه كان مثمراً؛ أي: كثير النسل، كما وعده الله، ووعد أبويه إبراهيم وإسحاق من قبل، ثم وصف بأنه أغصان، إشارة إلى نموه وتزايد النسل الذي يتفرع منه»(7).

وأما مَنَسَّى وأفْرَايم، فقال عنهما: «الْمَلاَكُ الَّذِي خَلَّصَنِي مِنْ كُلِّ شَرّ، يُبَارِكُ الْغُلاَمَيْنِ. وَلْيُدْعَ عَلَيْهِمَا اسْمِي وَاسْمُ أَبَوَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، وَلْيَكْثُرَا كَثِيرًا فِي الأَرْضِ»(8).

فقد أعطى يعقوبُ الوعدَ بالكثرة التناسلية ليوسف وبنيه، كما أخذها هو من أبيه إسحاق(9)، جاء في دائرة المعارف الكتابية: «جاء يوسف بابنيه مَنَسَّى وأفْرَايم إلى يعقوب أبيه، وهو على فراش الموت، ليباركهما...فلما قربهما إليه ليباركهما، مدَّ يعقوب يمينه ووضعها على رأس أفْرَايِم وهو الصغير، ويساره على رأس مَنَسَّى، وضع يديه بفطنه! فإنَّ مَنَسَّى كان البكر، فلما رأى يوسف ذلك، أمسك بيد أبيه لينقلها عن رأس أفْرَايِم إلى رأس مَنَسَّى، فأبى أبوه، وقال: علمت يا ابني علمت، هو أيضاً يكون شعباً،

---

(١) سفر التكوين (١٤:٢٨).

(٢) سفر التكوين (١١:٣٥).

(٣) خصّ سفر التكوين الإصحاح (التاسع والأربعون) للحديث عن مباركات يعقوب عليه السلام ببنيه وأحفاده.

(٤) مَنَسَّى: بِكْر يوسف عليه السلام، ومعنى مَنَسَّى أي: ينسى. انظر: دائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٢٢٨/٧).

(٥) أفْرَايِم: أصغر ابني يوسف عليه السلام، ومعنى أفْرَايِم أي: ثمر مضاعف. انظر: دائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٣٤٤/١).

(٦) سفر التكوين (٢٢:٤٩)ترجمة البستاني وفاندايك.

(٧) تفسير سفر التكوين، نجيب جرجس (ص٣٢١).

(٨) سفر التكوين (١٦:٤٨).

(٩) انظر: الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم، مجموعة من اللاهوتيين (ص٣٣٥).

وهو أيضاً يصير كبيراً، ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه، ونسله يكون جمهوراً من الأمم»[١].

وهكذا يستدل اليهود بما سبق من نصوص سفر التكوين –مع كثير من التكلف والتعسف–على أنَّ الوعد بتكثير النسل خاصٌ بإسحاق من نسل إبراهيم –عليهما السلام–وفي أبناء يعقوب من نسل إسحاق –عليهما السلام–ويسدلون الستار على نسل إسماعيل –عليه السلام–.

ولذا فهم الموعودون –بزعمهم– بكثرة النسل،بحيث يصيرون في الكثرة العددية مثل نجوم السماء، وتراب الأرض، الأمر الذي دعاهم إلى عدِّ عدم إنجاب المرأة مذلَّة وعاراً، لا يرفعان إلا بعد الإنجاب، لأنَّ ذلك –في نظرهم– لا يتفق مع وعد الرَّب لهم بتكثير نسلهم[٢].

ويستشهدون على ذلك بما جاء في سفر التكوين عند حديثه عن راحيل زوجة يعقوب –عليه السلام– حيث يقول: «وَأَمَّا رَاحِيلُ فَكَانَتْ عَاقِرًا»[٣]، ثم يقول بعد ذلك: «وَذَكَرَ اللهُ رَاحِيلَ، وَسَمِعَ لَهَا اللهُ وَفَتَحَ رَحِمَهَا. فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا فَقَالَتْ: قَدْ نَزَعَ اللهُ عَارِي»[٤].

**المطلب الثاني: نقد الوعد بتكثير النسل:**

بعد عرض واستقراء نصوص الوعد بتكثير النسل، ومفهومها في الفكر اليهودي، وقصرهم الوعد عليهم وعلى ذراريهم دون سواهم، يمكن نقد هذا الوعد ونصوصه، وانحرافات اليهود فيه، في النقاط الآتية:

**أولاً:** إنَّ الوعد المذكور في سفر التكوين بتكثير النسل، هو وعدٌ شاملٌ لكل ذرية آدم ونوح، فقد جاء في شأن آدم –عليه السلام–: «فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ...ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ»[٥].

يقول صاحب السنن القويم معلقاً على هذا النَّص: «هذا بيان أنَّ الحكم عام يُراد به خلق الجنس البشري، لأنَّ ضمير الجمع لا ينطبق على آدم وحواء دون غيرهما، وإلا لقال خلقهما، لا خلقهم»[٦].

---

(١) دائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٧/٢٢٨).
(٢) انظر: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون (ص٧٢).
(٣) سفر التكوين (٢٩:٣١).
(٤) سفر التكوين (٣٠:٢٢–٢٣).
(٥) سفر التكوين (١:٢٧–٢٨).
(٦) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٢٤).

وجاء في شأن نوح -عليه السلام-: «وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ»[1].

فالوعد بالتكاثر والتناسل لملء الأرض كان عاماً لكل نسل آدم ونوح -عليهما السلام- ولَم يميّز قوماً دون آخرين ممن سيخرجون من هذا النسل.

**ثانياً:** إنَّ نصوص سفر التكوين التي أعطت الوعد لإبراهيم -عليه السلام- بتكثير نسله كانت عامة لكل نسله، كما جاء مصرحاً به في سفر التكوين: «وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ»[2].

إذ تدل كلمة (نسلك) على أنَّ الوعد في ظاهره يشمل جميع نسلِ إبراهيم، ونسلُ إبراهيمَ لا يُخصص بإسحاقَ ونسلِه، وإنَّما يشمل إسماعيلَ ونسلَه[3].

كما أنَّ نصوص أسفار العهد القديم تقضي بأنَّ البكر هو الذي يرث مركز أبيه، ويقوم باسمه، ويخصص لله ويقدس، ولو كانت أمه مكروهة، وهذا واضح في سفر التثنية: «إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ، إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ، فَوَلَدَتَا لَهُ بَنِينَ، الْمَحْبُوبَةُ وَالْمَكْرُوهَةُ. فَإِنْ كَانَ الابْنُ الْبِكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ، فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لَهُ، لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرِ. بَلْ يَعْرِفُ ابْنَ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ، لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ»[4].

وجاء في سفر الخروج: «قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي»[5].

وبما أنَّ إسماعيل -عليه السلام- بكر أبيه، وحق البكورية مقدَّم كما سبق، وله مزية كبيرة عند اليهود، ومنزلة رفيعة[6]؛ فهو أولى بالوعد بتكثير نسله.

**ثالثاً:** إنَّ سفر التكوين يشهد من خلال نصوصه التي يؤمن بها اليهود ويعتقدون قدسيتها،أنَّ الوعد بكثرة النسل لم يتحقق في نسل يعقوب -عليه السلام-بل إنَّ نصوصه تثبت عكس ذلك؛ بزيادة نسلِ إسماعيل وعيسو إذا قورن بنسلِ يعقوب -عليه السلام- فقد جاء الوعد من الله -تعالى- لإبراهيم -عليه السلام- بتكثير نسل إسماعيل -عليه

---

(١) سفر التكوين (٩:١).

(٢) سفر التكوين (١٣:١٦).

(٣) انظر: سفر التكوين (١٨:١٨)، و(٢١:١٢)، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل، أحمد عبدالوهاب (ص٤١)،وأرض كنعان ومزاعم التوراة، إدريس اعبيزة (ص٢٦٧).

(٤) سفر التثنية (٢١:١٥-١٧) ترجمة البستاني وفانداياك.

(٥) سفر الخروج (١٣:١-٢).

(٦) فقد اعتقد اليهود أنَّ يعقوب حاول سلب البكورية من أخيه عيسو بشتى الوسائل. انظر: سفر التكوين (٢٥:٣١-٣٢).

السلام-: «أمَّا إسماعيلُ فسَمعْتُ لكَ[١]، وها أنا أباركُه وأُنمِّيه وأكثِّرُهُ جدًّا، ويَلِدُ اثْنَيْ عشرَ رئيساً وأجعَلُ نَسلَه أُمَّةً عظيمةً»[٢].

وجاء الوعدُ لهاجرَ بولادة إسماعيلَ-عليه السلام- وتكثيرِ نسلها منه: «وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ. وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ»[٣].

وقد تحقق هذا الوعد، كما ألمح إلى ذلك سفر التكوين: «أمَّا بَنو إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الّذي ولَدتْهُ هاجرُ المصرْيَّةُ جاريةُ سارةَ لإبراهيمَ. فهذِه أسماؤُهُم بحسَبِ ولادتِهِم، على التوالي: نبايوتُ بِكرُ إسماعيلَ، وقيدارُ وأدبَئيلُ ومبسامُ. ومِشماعُ ودومَةُ ومسَّا. وحدارُ وتيما ويطورُ ونافيشُ وقِدْمَةُ. هؤلاءِ هُم بَنو إسماعيلَ، وهذِهِ أسماؤُهُم بِحَسَبِ ديارِهِم وحُصونِهِم، وهُمُ اثْنَا عشَرَ رَئِيسًا لِقبائِلِهِم»[٤].

وفيما يتعلق بنسلِ عيسو شقيقِ يعقوبَ -عليه السلام- فقد أفرد سفر التكوين إصحاحاً كاملاً من إصحاحاته الخمسين لِذكْر نسل عيسو، مشيراً إلى إمارتهم في الأرض التي كانوا فيها[٥].

وأما نسلُ يعقوب -عليه السلام- فقد ورد في سفر التكوين: «ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ[٦]»[٧].

وبعد ولادة راحيلَ ابنها بنيامين، وموتها أثناء الولادة، يكونُ عددُ بني يعقوب -عليه السلام-«اثْنَيْ عَشَرَ...هؤُلاَءِ بَنُو يَعْقُوبَ الَّذِينَ وُلِدُوا لَهُ»[٨].

ثم يذكر سفر التكوين إحصاءً لعدد بيت يعقوب الذين استقروا في مصر بالقول: «جميعُ الّذينَ جاؤوا إلى مصرَ معَ يعقوبَ، وهُم مِنْ صُلْبِه، ستَّةٌ وستُّونَ نفْساً ما عدا نساءَ بَنيه. وابنا يوسُفَ اللَّذانِ وُلِدَا لَه في مِصرَ نَفسانِ، فيكونُ جميعُ الّذينَ دخَلوا مِصْرَ مِنْ بَيتِ يعقوبَ سَبْعينَ نفْساً»[٩].

ونتيجة لذلك؛ فإنَّ نسل يعقوب كان قليلاً إذا قورن بنسل عيسو، فلقد كَثُرَ نسلُ إسماعيل منذ البداية، وفاق أبناء عيسو أبناء يعقوب في الكثرة.

---

(١) حيث طلب إبراهيم -عليه السلام- من ربه -تعالى- أن يحيي إسماعيل -عليه السلام- في طاعة ويباركه. انظر: سفر التكوين (١٨:١٧).

(٢) سفر التكوين (٢٠:١٧).

(٣) سفر التكوين (١٦:١٠-١١).

(٤) سفر التكوين (٢٥:١٢-١٦).

(٥) سفر التكوين (٣٦:١-١٩)، ومع هذا فكثيراً ما يشير سفر التكوين إلى عيسو بأنه لم يكن حكيماً في تصرفاته، باع بكوريته وتزوج بوثنيات لوثن نسله، وأفسدن علاقته بوالديه. انظر: سفر التكوين (٢٥:٢٩-٣٤)، و(٢٦:٣٤-٣٥).

(٦) يبوق: نهر معروف الآن بنهر الزرقاء، ينبع بالقرب من عمّان. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص١٠٥١).

(٧) سفر التكوين (٢٢:٣٢).

(٨) سفر التكوين (٣٥:٢٢-٢٦).

(٩) سفر التكوين (٤٦:٢٦-٢٧).

ويؤكد أبو البقاء صالح الهاشمي[1] ذلك بقوله: «وما نعلم الآن من طبق الأرض، وملأ أكناف الدنيا من ولد إبراهيم سوى ولد إسماعيل»[2].

ولهذا فإن نصوص سفر التكوين المقدسة عند اليهود لا تدل على صحة عقيدتهم، بل تدل على أنَّ الوعد قد تحقق في نسل إسماعيل الذي كثُر وأثْمر جداً دون بني يعقوب.

رابعاً: إنَّ اعتقاد اليهود أنَّ الله -عز جل- وعدهم بالنسل الكثير، حتى يصبحوا في الكثرة العددية مثل نجوم السماء وتراب الأرض؛ اعتقاد غير مقبول، وهذا لم يحدث مطلقاً، فإنَّهم أقلُّ الناس عدداً، ولا توجد أمَّة من الأمم قضى الله عليها بالتشتت في الأرض، والضعف والخوف والقتل بسبب عصيانهم مثل اليهود، حتى كاد القتل أن يبيدهم عن آخرهم، ويستأصل شأفتهم[3]، فقد اضطهدهم فرعون مصر، وأمر بقتل كل ذَكَر منهم، أثناء وجودهم في أرض مصر، وفي هذا يقول سفر الخروج:«فأَمَرَ فِرعَونُ جميعَ شعبِهِ قالَ: اطْرَحوا في النَّهرِ كُلَّ ذَكَرٍ يُولَدُ لبَني إسرائيلَ وأبقوا على كُلِّ أُنثى»[4].

وكذلك السبي الذي تعرضوا له أكثر من مرَّة،حتى أثَّر ذلك سلباً على عددهم، فقد تمَّ سبي مملكة إسرائيل الشمالية على يد الآشوريين، سنة(٧٤٦-٧٢٨ ق.م)، وتم سبي مملكة يهوذا وسقوطها على يد الملك البابلي بختنصر[5] على أربع مراحل، في عام (٦٠٥ ق.م)، وفي عام (٥٩٧ق.م)، وفي عام (٥٨٦ ق.م)، وفي عام (٥٨٢ ق.م)، على خلاف في بعض هذه التواريخ[6].

وفي سنة (١٣٥م) أخمد الرومان ثورةً قام بها اليهود، واستخدموا في إخمادها أعنف وسائل البطش، فدمروا بلادهم وأخرجوهم من ديارهم، فأصبحوا مشتتين هائمين على وجوههم في مختلف بقاع الأرض[7]، جاء في سفر التثنية: «وَكَمَا فَرِحَ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُحْسِنَ إِلَيْكُمْ وَيُكَثِّرَكُمْ، كَذلِكَ يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ، فَتُسْتَأْصَلُونَ مِنَ الأَرْضِ»[8].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد تكرر هذا الاضطهاد والتقتيل في إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، والبرازيل وأمريكا[9]، ومن ثمَّ فإنَّ الوعد بتكثير نسل اليهود دون

---

(١) هو أبو البقاء صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين الهاشمي، تولى القضاء في مدينة قوص، ثاني المدن المصرية أهمية في ذلك الوقت، له تصانيف مفيدة، توفي سنة ٦٦٨ه. انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي (١٤٨/١٦)، ومعجم المؤلفين، كحالة (٧/٥).

(٢) تخجيل مَن حرّف التوراة والإنجيل (٧٢١/٢).

(٣) انظر:إبراهيم عليه السلام في أسفار التوراة، فاطمة ردمان (ص٣٤٣)، وتاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس (ص٣٠)، وهذا الكتاب نال الكثير من إعجاب واستحسان كبار اليهود، وقد قرّظ الكتاب من اليهود حاخام باشي مصر روفائيل هارون بن شمعون، والحاخام مسعود حاي بن شمعون، كما جاء ذلك في آخر الكتاب (ص١٦٥).

(٤) سفر الخروج (٢٢:١).

(٥) بختنصر: من أشهر ملوك الدولة البابلية، مدة ملكه٤٣سنة، انتصر على مملكة يهوذا، وأسر جميع اليهود وأرسلهم إلى بابل واستذلهم. انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري (٥٣٨/١-٥٦٠)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٢٥/٨).

(٦) انظر: سفر الملوك الثاني (٧:٢٤) و(١:٢٥-٧)، وقاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٤٥٨)، والعرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة (ص٣١٣).

(٧) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (٣٨٤/٢)، وتاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان (ص٩١)، واليهودية، شلبي (ص٨٨).

(٨) سفر التثنية (٦٣:٢٨-٦٤).

(٩) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (٦٥/١٤-١٦١)، وبنو إسرائيل، محمد مهران (ص١١٩).

سواهم لم يتحقق، لكثرة ما تعرضوا له من قتل واضطهاد على مـرِّ الأيـام، ومختلـف العصور بشهادة نصوص كتابهم المقدس.

فهم أقلُّ الأمم نسلاً، فأمَّة النصارى ظهرت بعدهم، وهم اليوم يُعـدّونَ أكثـر مـن اليهود، وأمَّة الإسلام ظهرت بعدهم بكثير، وهم اليوم يُعدّونَ كذلك أكثر من اليهود، فأيُّ تكثير للنسل هذا الذي يتحدثون عنه! وأيُّ بركة هذه التي يتشدقون بها!

**خامساً:** إنَّ نصوص العهد القديم المقدّسة عند اليهود، ناطقة بـأنَّ تحقيـق الوعـد بتكثير النسل مشروط بحفظ وصايا الرب والعمل بها، ومن خالف هذا الـشرط يكـون عقيماً، يقول سفر التثنية: «وَمِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ هذهِ الأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَ وَتَعْمَلُونَهَـا، يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ الْعَهْدَ وَالإِحْسَانَ اللَّذَيْنِ أَقْسَمَ لآبَائِكَ. وَيُحِبُّـكَ وَيُبَارِكُـكَ وَيُكَثِّـرُكَ وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ»[1].

وجاء في سفر إرميا بعد حديثه عمَّن خالف وصايا الرب وأوامره: «هكَذَا قَـالَ الـرَّبُّ: اكْتُبُوا هذَا الرَّجُلَ عَقِيمًا، رَجُلاً لاَ يَنْجَحُ فِي أَيَّامِهِ، لأَنَّهُ لاَ يَنْجَحُ مِنْ نَسْلِهِ أَحَـدٌ جَالِـسًا عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَحَاكِمًا بَعْدُ فِي يَهُوذَا»[2].

فهل حفظ اليهود وصايا الرب وتعاليمه وأطاعوه ليكونوا أهلاً لهذا الوعد؟

إنَّ نصوص العهد القديم التي يؤمن بها اليهود ويعتقدون قدسيتها، شاهدة علـى نقـضه معهود الرَّب وانحرافهم عن أوامره، كما سبق بيان ذلك في المبحث الأول[3].

**سادساً:** ومع ادعاء اليهود نسبتهم إلى أولئك الأنبياء الكرام، فإنَّ هؤلاء الأنبياء لم يسلموا من افتراءات اليهود عليهم، فقد وصفوهم بصفات لا يجوز إطلاقها على دهمـاء الناس فضلاً عن أن يتصف بها أنبياء[4]، اختصهم الله –تعالى– بوحيه، وجعلهم أمنـاء على رسالته، وواسطة بينه وبين عباده، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهـم عنـده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه، وبهم عُرف الله، وبهم عبُد وأُطيع، وبهـم حـصلت محابُّه تعالى في الأرض[5].

فهل من يطعن في أنبياء الله يستحق من الله –تعالى– وعداً بتكثير نسله؟! عجيـبٌ أمرُ اليهود! كيف يطعنون في أنبيائهم، وقد كان لأنبيائهم الفضل عليهم بعد فـضل الله – تعالى– فيما نالوا من خير الدنيا وعزِّها في سابق حياتهم!

---

(١) سفر التثنية (١٢:٧-١٣).

(٢) سفر إرميا (٣٠:٢٢).

(٣) انظر: صفحة (٢٠).

(٤) انظر على سبيل المثال: سفر التكوين (٢٠:٩-٢٦)، و(١٠:١٢-١٦)، و(٣٠:١٩-٣٨)، ١٩:٢٧)، سفر الخروج (٣٤:٣٤-٣٦)، سفر التثنيـة (٢٤:٢-٣٥)، وسـفر صموئيل الثاني (الإصحاح (١١)، والإصحاح (١٢).

(٥) انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم (ص٣٥٠)

## المبحث الثالث

## الوعد بالبركة الإلهية في سفر التكوين، ومفهومه في الفكر اليهودي، ومناقشته

وفيه مطلبان:

### المطلب الأول: نصوص الوعد بالبركة الإلهية في سفر التكوين، ومفهومها في الفكر اليهودي:

يعتقد اليهود أنَّ البركة الإلهية هي: كل ما أعطاه الله لهم ولم يعطه لغيرهم، من نعمة أو ثراء، أو إثمار أو إكثار، أو وفرة أو خصوبة، أو علو أو سعادة، أو نماء أو زيادة[١].

ويرى البعض أنَّها: حلول قوة إلهية في الشعب اليهودي لا تفارقه أبداً يحقق من خلال حلولها فيه السعادة أو يسير في طريق تحقيقها، وهذه البركة قائمة على عهد، ودائمة بوعد، بين الرّب وشعبه اليهودي لا يُخلف، ويستطيعون من خلالها مباركة غيرهم من الناس[٢].

وهنا تصبح البركة الإلهية خاصَّةً باليهود لم ولن تحلَّ في غيرهم من شعوب الأرض، مما يدل على ضعف تلك الشعوب كلها؛ لأنَّها تحمل قوة بشريّة، وليست قوة إلهية، وكل اليهود يؤمنون بالبركة الإلهية لا كصفة ثابتة لله -تعالى- وإنَّما كفعل لله فعلَه لهم عندما باركهم دون شعوب الأرض[٣].

وعليه؛فإنَّ غالبية العقائد اليهودية الكبرى كعقيدة الشعب المختار، وعقيدة الأرض المباركة، وعقيدة تكاثر النسل اليهودي، ما هي إلا عقائد تولّدت في الأصل من عقيدة البركة الإلهية لليهود.

وهناك العديد من النصوص في سفر التكوين تقرر عقيدة إحلال البركة الإلهية[٤]على اليهود، ومن أهم هذه النصوص:

**النَّص الأول:** جاء في سفر التكوين: «وكانَ بَنو نُوحٍ الّذينَ خرَجوا مِنَ السَّفينة سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ، وحَامٌ هوَ أبو كنعانَ. هؤلاءِ الثَّلاثةُ هُم بَنو نُوحٍ وَمِنهُم انتَشَرَ كُلُّ سُكَّانِ الأرضِ...تَبارك الرّبُّ إلهُ سامٍ، ويكونُ كنعانُ عبداً لِسام»[٥].

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص١٧١)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (١/١٤٠).

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري (٥/٢٩).

(٣) البركة: صفة ذاتية وفعلية لله -تعالى- فتبارُكُه سبحانه صفة ذات له وصفة فعل، والبركة كلها لله ومنه، وهو المبارِك، وقد وصف الله نفسه بـتبارك، وهذا لا يصلح إلا له تعالى. انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم (٢/١٨٥).

(٤) أحياناً يستبدل اليهود كلمة (البركة الإلهية) بمصطلح (الشعب المقدس)، وقد بلغ عدد مشتقات (قدس) بألفاظها المتنوعة في الكتاب المقدس (٧٨١) موضعاً، منها (٦٣٠) في العهد القديم، و(١٥١) في العهد الجديد، وبلغ لفظ (البركة) ومشتقاتها (٦٤٧) موضعاً، منها (٥٥٧) موضعاً في العهد القديم، و(٩٠) موضعاً في العهد الجديد، أي أن ألفاظ القدسية والبركة في الكتاب المقدس بلغت (١٤٢٨) موضعاً، وهذا العدد حسب نسخة كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية المصرية، وإلا من العسير تطابق العدد مع جميع نسخ الكتاب المقدس.

(٥) سفر التكوين (٩:١٨-٢٨).

يُقصدُ بالبركة هنا؛ تمجيد الله وتعظيمه، ولكن ليس لأنَّه الإلــه الحــق المــستحق للتمجيد والتعظيم، وإنَّما لأنَّه إله سام بن نوح خاصة، واليهود يعتقدون أنَّهم أولاد ســام وحدهم، وأنَّ إله سام لهم دون غيرهم، ولهذا أضيفت ألوهية الله –تعــالى– لــسام فقــط دون إخوته، فهو ليس إله حام ولا إله يافث بزعمهم، وهذا يدلُّ على قمّة الخــصوصية في التعبير عن البركة الإلهية، وقمّة تأكيد العداء الــديني والعرقــي لأبنــاء كنعــان أو للكنعانيين(١).

فتكون بذلك البركة –حسب اعتقاد اليهود– ابتدأت مع سام الذي ينتــسبون إليــه، ومن ثم إلى إبراهيم –عليه السلام– كما هو آتٍ في النَّص الآتي.

**النَّص الثاني**:يقول سفر التكوين: «وقالَ الــرّبُّ لأبــرامَ: ارحَــلْ مــنْ أرضــكَ وعَشيرَتِكَ وبَيتِ أبــيكَ إلى الأرضِ الّتي أُريكَ. فأجعَلَكَ أُمَّةً عظيمةً وأُبارِكَــكَ وأُعَظِّــمَ اسْمَكَ وتكونَ بَرَكَةً. وأُبارِكُ مُبارِكيكَ وألعنُ لاعنيكَ، ويتَبــارَكُ بِــكَ جميــعُ عَــشائرِ الأرضِ»(٢).

لم يجد كاتبُ هذا النَّص من أولاد سام أحداً مباركاً إلا ابنه إبراهيمَ –عليه السلام– ! فالرّب كما يذكر النَّص يَعِدُهُ صراحة أنه سيعظِّم اسمه، ويكرمــه، ويحــسن ذكــره، ويهب البركة لمن يؤمن به، ويوجب اللعنة على من يعاديه ويكفر به، وأنَّ هذه البركــة لن تتحقق لإبراهيم –عليه السلام– إلا عندما ينتقل إلى الأرض التي سيريه إياها الرّب، فعندما يصل إليها ستتحقق بركته، ثم سيعظم اسمه، ثم سيصبح سبب البركة لجميع أمــم الأرض، فإبراهيم –عليه السلام– وذريته من بعده، سبب بركة كــل أمــم الأرض أبــد الدهر، ومن يباركهم سيتبارك، ومن يلعنهم سيُلعن كما يدعون(٣).

وتظهر هنا علاقة البركة الإلهية لليهود بأرض الميعاد؛ فحصول البركة لإبــراهيم وذريته من بعده لا تتحقق إلا عند وصوله إلى الأرض المباركة أرض الميعــاد –كمــا يزعم كتبة السِّفر– وكأنَّ السبب الأساس الذي لأجله أمرَ الرّبُ إبراهيمَ بالانتقــال إلــى أرض كنعان هو حصول البركة الإلهية، وكأنَّ البركة الإلهية حالّــةٌ فقــط فــي أرض كنعان!

---

(١) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٢٤)، والنبوة والأنبياء في العهد القديم، متى المسكين (ص٦٧)، وتفسير الكتاب المقدس: سفر التكوين، نجيب جرجس (ص١١٩).

(٢) سفر التكوين (١٢:١–٣).

(٣) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٧٦)، وشرح سفر التكوين، آدم كلارك (ص١٥٤)، وتفسير سفر التكوين، القديس يوحنا الذهبي الفم (ص١٠٠).

وعلى هذا؛ فاليهود يعتقدون أنَّه لا يمكن أن يكونوا مباركين إلا إذا استقروا في أرض كنعان وملَكُوها، وأنَّ عدم تملّكهم لها، يعني عدم حصولهم على البركة الإلهية، التي تتضمن القوة والنَّماء والزيادة والغلبة على الأمم، وحينها يصبح اليهود حالهم كحال بقية الشعوب المحرومة من البركة الإلهية.

**النَّص الثالث:** جاء في سفر التكوين: «وإبراهيمُ سيكونُ أُمَّةً كبيرةً قويَّةً ويتَبارَكُ بهِ جميعُ أُمَمِ الأرضِ. أنا اختَرْتُه لِيُوصيَ بَنيه وأهلَ بَيتِه منْ بَعدِه بأنْ يسلُكوا في طُرُقي ويعمَلوا بالعَدلِ والإنصافِ، حتى أفيَ بما وَعَدْتُهُ بِه»[١].

وهذا النَّص صريح في أنَّ الله -تعالى- سيجعلُ من نسل إبراهيمَ-عليه السلام- أمَّةً كبيرة وقويَّة، ويتبارك بهم جميعُ أمم الأرض[٢].

وقد ألمح بعض شُرَّاح سفر التكوين إلى أنَّ هذا الوعد قد تحقق في الأمَّة اليهودية على وجه الخصوص، فقد نالت البركة التي نالها إبراهيم -عليه السلام- وبهم تتبارك جميع قبائل الأرض حسب القول الإلهي إلى الأبد![٣].

**النَّص الرابع:**جاء في سفر التكوين: «ونَادى ملاكُ الرّبِّ إبراهيمَ ثانيةً منَ السَّماءِ. وقالَ: بنفْسي أقسمْتُ، يقولُ الرّبُّ: بما أنَّكَ فعلْتَ هذا ولَمْ تُمْسكِ ابْنَكَ وَحيدَكَ. فأُباركُكَ...ويتباركُ في نسلِكَ جميعُ أُمَمِ الأرضِ لأنَّكَ سَمِعْتَ لي»[٤].

تجلَّى الرّبُ-تعالى- مرَّة ثانية[٥]في صورة ملَك من الملائكة، وأعطى إبراهيمَ - عليه السلام- وعداً مؤكداً بالقسم بأنَّه يباركه، ويتبارك في نسله جميع أمم الأرض[٦].

**النَّص الخامس:**يعتقد كتبة سفر التكوين أنَّ بركة الرّب بقيت متعلقة بإبراهيمَ - عليه السلام- وحده طيلة حياته إلى أن مات، وعندما مات لم تمت البركة بموته وإنما انتقلت واستمرت في ابن واحد فقط من أبنائه الثمانية؛ وهو إسحاق -عليه السلام- الذي سيأتي من نسله اليهود، فإسماعيل -عليه السلام-لم يكن هو ابن الوعد الذي به تتبارك جميع قبائل الأرض[٧]، «وبَعدَ موتِ إبراهيمَ باركَ اللهُ إسحَقَ ابنَهُ»[٨].

(١) سفر التكوين (١٨:١٨-١٩).
(٢) انظر: تفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص٨٤)، وتفسير سفر التكوين، القديس يوحنا الذهبي الفم (ص١٠١).
(٣) انظر: وشرح سفر التكوين، آدم كلارك (ص٢١١)، وتفسير سفر التكوين،انطونيوس فكري، (ص٢٢٧)، وشرح سفر التكوين، يوحنا المقاري (ص٢٥١).
(٤) سفر التكوين (٢٢:١٥-١٨).
(٥) المرة الأولى التي تجلى فيها الرب لإبراهيم: عندما أمره بصعود أحد الجبال وذبح ابنه إسحاق هناك، كما يزعم سفر التكوين (٢٢:١-١٤).
(٦) انظر: شرح سفر التكوين، يوحنا المقاري (ص٣١٧)، وتفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص٢٢٩).
(٧) انظر: شرح سفر التكوين، يوحنا المقاري (ص٢٣٦)، وتفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (٢٩٥).
(٨) سفر التكوين (٢٥:١١).

وهكذا يمتد الوعد بالبركة لإسحاق –عليه السلام– ونسله، دون إسماعيل –عليه السلام– ونسله، فقد جاء أنَّ الرَّب قال لإسحاق:«أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. لاَ تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ، وَأُبَارِكُكَ»[1].

أما نسلُه؛ فقد قال سفر التكوين:«وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»[2]، ويعده ربه أن تطال بركة نسله كل أمم الأرض، فيقول له: «وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ»[3].

يقول القس يوحنا المقاري[4]: «فمن أجل إبراهيم بارك الله بنيه إسحاق وأولاده من جيل إلى جيل...إذ تسلَّم إسحاقُ من إبراهيمَ شعلة الإيمان، وميراث البركة، وقد حمل إسحاقُ الشعلة وسلّمها بأمانة لمن بعده»[5].

**النَّص السادس:**يصف سفر التكوين انتقال البركة إلى فرع أكثر خصوصية من نسل إسحاق –عليه السلام– فقد أعطى إسحاق البركة لابنه يعقوب دون عيسو بطريقة فيها خداع حبكها يعقوب!كما يزعم كتبة السفر[6]، إذ يزعمون أنَّ إسحاق –عليه السلام– عندما شاخ وكُفَّ بصره، دعا ولده عيسو البكر ليباركه: «وَقَالَ لَهُ: يَا ابْنِي إِنَّنِي قَدْ شِخْتُ وَلَسْتُ أَعْرِفُ يَوْمَ وَفَاتِي.فَالآنَ خُذْ عُدَّتَكَ: جُعْبَتَكَ وَقَوْسَكَ، وَاخْرُجْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَتَصَيَّدْ لِي صَيْدًا. وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً كَمَا أُحِبُّ، وَأْتِنِي بِهَا لآكُلَ حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ ...كَانَتْ رِفْقَةُ سَامِعَةً ...فَكَلمتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا قَائِلَةً: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَبَاكَ يُكَلِّمُ عِيسُوَ أَخَاكَ قَائِلاً:ائْتِنِي بِصَيْدٍ وَاصْنَعْ لِي أَطْعِمَةً لآكُلَ وَأُبَارِكَكَ أَمَامَ الرَّبِّ قَبْلَ وَفَاتِي.فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي فِي مَا أَنَا آمُرُكَ بِهِ:اذْهَبْ إِلَى الْغَنَمِ وَخُذْ لِي مِنْ هُنَاكَ جَدْيَيْنِ جَيِّدَيْنِ مِنَ الْمِعْزَى، فَأَصْنَعَهُمَا أَطْعِمَةً لأَبِيكَ كَمَا يُحِبُّ،فَتُحْضِرَهَا إِلَى أَبِيكَ لِيَأْكُلَ حَتَّى يُبَارِكَكَ قَبْلَ وَفَاتِه...فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: يَا أَبِي. فَقَالَ: هأَنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟فَقَالَ يَعْقُوبُ لأَبِيهِ: أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ[7]. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ...فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: تَقَدَّمْ لأَجُسَّكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لاَ؟...فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَشَمَّ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ، وَقَالَ: انْظُرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْل قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ.فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ

---

(١) سفر التكوين (٢٦:٢٤)ترجمة البستاني وفانديك.

(٢) سفر التكوين (٢٨:١٤)ترجمة البستاني وفانديك.

(٣) سفر التكوين (٢٦:٤).

(٤) القس يوحنا المقاري من قدامى رهبان دير أبو مقار بصحراء وادي النطرون، توفي سنة ٢٠٢١م. انظر: موقع الأقباط متحدون عبر الرابط: https://www.copts-united.com

(٥) انظر: شرح سفر التكوين، القس يوحنا المقاري (ص٣١٧).

(٦) يجوّز اليهود الحصول على البركة بالكذب والخداع، وبمصارعة الرب. انظر: تفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص١٣١).

(٧) يقول بعض اللاهوتيين: «هي جرأة دفع ثمنها في حياته غالياً»تفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص٣٠٧)، ونحن نقول: حاشا الأنبياء والمرسلين من ذلك، فقد نشأهم الله –سبحانه– على أكمل الأحوال، وعظيم الأخلاق.

الأَرْضِ. وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ. لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ»[1].

وعندما جاء عيسو بالصيد لأبيه ليحصل على بركته، اكتشف إسحاق حيلة يعقوب فلم يُعِدْ البركة إلى صاحبها عيسو، وإنَّما قال لـه: «قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ...قَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّدًا لَكَ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ عَبِيدًا، وَعَضَدْتُهُ بِحِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. فَمَاذَا أَصْنَعُ إِلَيْكَ يَا ابْنِي؟»[2]، وأخبره بأنَّه لا يملك إلا بركة واحدة! وقد حصل عليها يعقوب، وليس بيده أن يصنع شيئاً، فهي إرادة الرَّب[3].

ومع أنَّ الأمر انكشف، وافتضح يعقوبُ أمام أبيه إسحاقَ كما زعم كتبة سفر التكوين، إلا أنَّ إسحاق عاد من جديد وأكّد على بركة يعقوب دون أخيه عيسو: «فدعا إسحَاقُ ابنَهُ يعقوبَ وباركَهُ وأوصاهُ، فقالَ: لا تأخذ امرأةً مِنْ بَنَاتِ كنعانَ»[4].

وهكذا ادعى كتبة السفر في هذه القصَّة المختلقة المبنيّة على أكذوبات تحوُّل البركة الإلهية إلى يعقوبَ –عليه السلام– تلك البركة التي تعني حلول القوة الإلهية في يعقوبَ وفي نسله من بعده.

ومما يؤكد هذا المعنى؛ ما زعمه اليهود أنَّ نبي الله يعقوبَ صارع الرّب وكانت الغلبة له عليه، وعندما رأى الرّب أنَّه لا يقدر على مصارعة يعقوب، طلب منه أن يتركه، إلا أنَّ يعقوبَ لم يتركه إلا بعد أن اغتصب البركة منه، فحلَّت في نفس يعقوب قوة الله، وهي البركة التي سينقلها لبنيه، فيصبح الشعب اليهودي هو الشعب الوحيد الحاصل على قوة الله، وبها ستذعن له جميع أمم الأرض.

وقد روى سفر التكوين هذه القصَّة، فقال: «ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ...أخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ، وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ. فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ[5] حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِه، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي. فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ. فَقَالَ: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ. وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ. فَقَالَ: لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ»[6].

---

(١) سفر التكوين (٢٧:١–٤٠).
(٢) سفر التكوين (٢٧:٣٥–٣٧).
(٣) انظر: سفر التكوين (٢٧:٣٨)، وتفسير سفر التكوين، انطونيوس فكري (ص٣٠٨).
(٤) سفر التكوين (٢٨:١).
(٥) أي رأى يعقوب –عليه السلام– الرب –تعالى– على هيئة إنسان. انظر: الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، محمد البار (ص١٤٤).
(٦) انظر: سفر التكوين (٣٢:٢٢–٢٩)ترجمة البستاني وفاندايك.

ويستمر مسلسل المباركة في نسل يعقوب –عليه السلام–إذ يقُصُّ سفر التكوين مشهد وداع يعقوب –عليه السلام– لأسباطه وهو على فراش الموت، ومباركته لهم كلٌ بما يناسبه، فيقول: «هؤلاءِ كُلُّهُم أسباطُ إسرائيلَ الاثنا عشَرَ، وهذا ما قالَه لهُم أبوهُم حينَ باركَهُم كُلٌّ واحدٍ وَفقَ ما يُناسِبُهُ مِنَ البَرَكَةِ»[1]،وبهذه المباركة صارت البركة في اليهود إلى الأبد كما يدَّعون!

وإن تعجب من أمرٍ، فما أعجبَ من قصص وقُصّاص سفر التكوين خصوصاً، وأسفار العهد القديم عموماً، الذين أطلقوا العنان لخيالهم المريض، وأفكارهم الخبيثة التي تبث سمومها وأمراضها على صفحات كتاب يفترض أن يكون مقدساً كما يعتقدون، ولا ندري مصدر هذه القداسة في هذه القصَّة القبيحة عن أشخاص هم صفوة البشر، وأحسن الناس خُلُقاً، وأكملهم خِلقةً–صلوات الله وسلامه عليهم–.

وجماع القول؛ أنَّ كتبة سفر التكوين لم يدوِّنوا هذه القصص وتلك النصوص للتسلية؛ بل إنَّهم ابتدعوها وسلسلوا أحداثها، ليصلوا إلى غاية ما فتئوا يضعونها نُصب أعينهم؛ هي إثبات أنَّ الله –تعالى– إنَّما خلق هذا الكون من أجل الأرض، وأنَّه إنَّما خلق الأرض من أجل آدمَ وبني آدمَ، ولقد خلق هؤلاء ليعودَ فيبيدَهم ويقطعَ دابرهم، ولا يبقى منهم إلا نوحٌ وبنو نوح، وخلق هؤلاء ليختار من بينهم سام، ثم يختار من حفدته يعقوب، الذي ينتسب إليه اليهود.

وقد آمن اليهود بهذه التُّرَّهات، واعتقدوا أنَّهم شعب الله المقدس، وأنَّ الله وعدهم بالبركة، وأعطاهم إياها،ووعدهم بالتفاف شعوب الأرض حولهم؛ ليتباركوا بهم، وأنَّهم سبب القداسة المطلقة في الأرض، فلا علاقة للشعوب بالله إلا عن طريقهم[2].

يقول القس منيس عبدالنور[3]: «فهِم اليهود خطأ أنَّ اختيار الله لهم يعني أنهم الشعب المتميز عن غيره من الشعوب، والأعلى فوقهم جميعاً، ولم يدركوا أن الهدف من اختيارهم هو تخصيصهم للكرازة[4] لكل الأمم، ولكنهم لم يفهموا هذا الهدف من الاختيار، فتعالوا على سائر الشعوب»[5].

ومن تأمل نصوص سفر التكوين السابقة المتعلقة بالبركة الإلهية، يلحظ أمرين:

---

(١) انظر: سفر التكوين (٤٩:١–٣٣).

(٢) انظر: الأيدولوجية الصهيونية، المسيري (ص١٦١).

(٣) هو منيس عبدالنور ميخائيل، أحد أشهر رموز الكنيسة البروتستانتية في مصر، وله عدد من الكتب، أشهرها: شبهات وهمية حول الكتاب المقدس. انظر: قاموس التراجم القبطية، رجائي مقار وآخرون (ص٢٢٦).

(٤) الكرازة: ترادف كلمة تبليغ الدين، أو الدعوة إلى الله. انظر: دائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (٣٣٤/٦).

(٥) تأملات في سفر المزامير، منيس عبدالنور (٤٩٠/٢).

الأول: أنَّ سفر التكوين يربط بركة اليهود بمحق الأمم الأخرى ولعنها! وكأنَّ من لوازم البركة الإلهية لليهود التسلّط والاستعلاء على الشعوب الأخرى، ويدل على ذلك ما ورد في سفر التكوين على لسان إسحاقَ ليعقوبَ -عليهما السلام- قوله: «يُعطيكَ اللهُ مِنْ نَدى السَّماءِ ومِنْ خُصوبَةِ الأرْضِ فَيضاً مِنَ الحِنطَةِ والخمرِ. وتخدُمُكَ الشُّعوبُ وتسجُدُ لكَ الأُمَمُ، سيِّداً تكونُ لإخوَتِكَ، وبَنو أُمِّكَ يَسجدونَ لكَ. مَلعونٌ مَنْ يلعَنُكَ، ومُباركٌ مَنْ يُباركُكَ»[1].

الثاني: أنَّ سفر التكوين يربط بين البركة الأبدية الموهوبة لليهود وتكثير نسلهم وامتلاك الأرض، وكأنَّ واضع السفر يحاول إيجاد ارتباط حتمي وتلازمي بين هذا الشعب المبارك كثيرِ النسل -في اعتقادهم- وبين هذه الأرض الموعودة.

وكثيراً ما ترددت عبارات الربط بين مباركة الشعب وتكثير النسل وامتلاك الأرض في سفر التكوين، ومن أمثلة ذلك:

١- أنَّ ملاك الرب قال لإبراهيم -عليه السلام-: «فأُباركُكَ وأُكثِّرُ نسلَكَ كنجُومِ السَّماءِ والرَّملِ الّذي على شاطئِ البحرِ. ويَرِثُ نسلُكَ مُدُنَ أعدائه. ويتباركُ في نسلِكَ جميعُ أُمَمِ الأرضِ لأنَّكَ سَمِعْتَ لي»[2].

٢- ويأتي هذا الربط لإسحاق -عليه السلام- فيقول له الرَّب بعدما ظهر له نحو ديار كنعان: «تغَرَّبْ بهذهِ الأرضِ وأنا أكونُ معَكَ وأُباركُكَ، فأُعطيَ لكَ ولنسلِكَ جميعَ هذهِ البلادِ، وأفي باليمينِ الّتي حلَفتُها لإبراهيمَ أبيكَ»[3].

٣- ويزداد الأمر تأكيداً لإسحاق -عليه السلام- حيث قال له الرب: «وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ»[4].

٤- ويتجلَّى هذا الربط ليعقوب -عليه السلام- فيما رواه سفر التكوين من أنَّ إسحاق دعا يعقوب وباركه وأوصاه قائلاً: «لا تأخذ امرأةً منْ بَناتِ كنعانَ...وتزوَّجْ بامرأةٍ منْ هُناكَ، منْ بَناتِ لابانَ[5] أخي أُمِّكَ. فيُباركَكَ اللهُ القديرُ ويُنميكَ ويُكثِّركَ وتكونَ عِدَّةَ شعوبٍ. ويُعطيَكَ بركةَ إبراهيمَ، لَك ولنسلِكَ منْ بَعدِكَ، لِتَرِثَ أرضَ غُربَتِكَ

(١) سفر التكوين (٢٧:٢٨-٢٩).
(٢) سفر التكوين (٢٢:١٦-١٧).
(٣) سفر التكوين (٢٦:١-٣).
(٤) سفر التكوين (٢٦:٤).
(٥) لابان: اسم عبري، معناه الأبيض، وهو اسم ابن بتوئيل، خال يعقوب عليه السلام وأبو زوجتيه ليا وراحيل. انظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (ص٨٠٤)، ودائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين (١/٧).

الّتي وهَبَها اللهُ لإبراهيمَ»[1]، فجعل كتبة السفر علّة البركة وتكثير النسل ليعقوب –عليه السلام– تملك أرض كنعان له، ولنسله من بعده.

**المطلب الثاني: نقد الوعد بالبركة الإلهية:**

بعد عرض واستقراء نصوص الوعد بالبركة الإلهية في سفر التكوين،ومفهومها في الفكر اليهودي، يمكن نقدُ هذا الوعد ونصوصه، وانحرافات اليهود فيه، في النقاط الآتية:

**أولاً:** إنَّ الوعد بالبركة الإلهية لإبراهيم –عليه السلام– ونسله من بعده الوارد في سفر التكوين، يتفق إلى حدٍ كبير مع ما تقوله النصوص الشرعية، فقد قال الله –تعالى– عن إبراهيم –عليه السلام–: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِين﴾ [الصافات:١١٣].

وعن ابن أبي ليلي، قال: لقيني كعب بن عُجْرَة فقال: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[2].

وقد تحقق هذا الوعدُ بالبركة لإبراهيم –عليه السلام– في أنَّه لم يبعث نبي بعده إلا من صُلبه، وإسحاقُ –عليه السلام– باركه الله وعظّمه، وجعل في ذريته ملوكاً وأنبياء، ولا سيما موسى –عليه السلام–الذي اصطفاه الله بكلامه، وأنزل عليه التوراة، كما كانت النبوة في بني إسرائيل، حيث جعل الله فيهم النبوة في زمن معين، وكان الأنبياء الذين بعثوا فيهم كثيرين[3]، كما قال الله –تعالى– عنهم:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِين ﴾[المائدة:٢٠].

وعلى الرغم من كثرة أنبيائهم لم تستمر النبوة فيهم، إذ نزعها الله –تعالى–منهم بسبب كفرهم، وجعلها في ذرية إسماعيل –عليه السلام–قال الله –عز وجل–: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾[آل عمران:٢٦].

---

(١) سفر التكوين (٢٨:١-٥).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (١٦٣/٤) الحديث (٦٣٥٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد (٣٠٥/١) الحديث (٤٠٦).
(٣) انظر: إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود، فاطمة خالد (ص٣٥٠)

يقول ابن كثير -رحمه الله-: «وفي هذه الآية تنبيهٌ وإرشادٌ إلى شكر نعمة الله -تعالى- على رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهذه الأمَّة، لأنَّ الله حوَّل النبوة من بني إسرائيل إلى النبيّ العربيّ القرشيّ المكيّ الأميّ خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قَبْلَهُ، وخصَّه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولاً من الرسل، في العلم بالله وشريعته وإِطْلَاعهِ على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه عن حقائق الآخرة ونشْر أُمَّتِه في الآفاق، في مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع، فصلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، ما تعاقب الليل والنهار»[١].

فكما تحقق وعد الله -تعالى- في إسحاق -عليه السلام- بأن باركه وعظّمه، وجعل في ذريته ملوكاً وأنبياء؛ تحقق -أيضاً- وعد الله -تعالى- في إسماعيل -عليه السلام- بأن باركه وعظَّمه بما جعل في ذريته من الإيمان وخاتمة النبوة، وذلك ببعثة محمد -صلى الله عليه وسلم-فإنه الذي سادت به العرب، وَمَلَكَتْ جميع البلاد غرباً وشرقاً، وأتاها الله من العلم النافع والعمل الصالح ما لم يؤت أُمَّةً من الأمم قبلهم، وما ذاك إلا بشرف رسولها على سائر الرُّسل، وبركة رسالته، وَيُمْنِ بِشَارَتِهِ، وكماله فيما جاء به، وعموم بعثته لجميع أهل الأرض[٢].

يقول الإمام أبو البقاء الهاشمي[٣]: «قد علم الموالف والمخالف والموافق والمفارق أنَّه لم يكن في ذرية إسماعيل من ظهرت بركته، ونمت أمته، وأعطي الشعب الجليل، سوى محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلقد ملأوا الأرض برحبها، وطبقوا من شرق الدنيا إلى غربها، ودوخوا الآفاق، وأربوا في العدد على أولاد إسحاق، وهم -والحمد لله- لا يزدادون على مرّ الأيام إلا نماءً وكثرةً، وهذا بالغ في شرف إسماعيل إذ فخر الولد يكسب الوالد فخراً ويرفعه دنيا وأخرى»[٤].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] -رحمه الله-: «والله -تعالى- قال في إسماعيل:«إني جاعله لأمَّة عظيمة ومعظَّمة جداً جداً»، وهذا التعظيم المؤكَّد بـ «جدًّا جدًّا»، يقتضي أن يكون تعظيماً مبالغاً فيه، فلو قُدِّرَ أنَّ البيت الذي بناه لا يَحُجُّ إليه أحد،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية ابن كثير (١/٣٥٤)، وإبراهيم عليه السلام في أسفار التوراة، فاطمة ردمان (ص٣٥٢)، وسفر التكوين دراسة عقدية نقدية، نوال الثبيتي (ص١٦٤).

(٣) هو صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمّد بن الحسين الهاشمي الجعفري الزينبي، أبوالبقاء، قاضي قوص، من الشخصيات العلمية البارزة في عصره، وله خطب، ونظم، ونثر، وتصانيف، توفي سنة ٦٨٨هـ بالقاهرة. انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (٤/٢٦٢)، والوافي بالوفيات، الصفدي (١٦/١٤٨).

(٤) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/٦٥٢).

(٥) هو أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر، الإمام، شيخ الإسلام ابن تيمية، المجتهد، ناصر السنن وقامع البدع، بحر العلوم النقلية والعقلية، وصاحب المصنفات المفيدة، ذاع صيته، وعمّ ذكره، توفي سنة ٧٢٨ه. انظر: العقود الدرية، محمد بن عبدالهادي (ص٢)، والبداية والنهاية، ابن كثير (١٨/٢٩٦)، والدرر الكامنة، ابن حجر (١/١٤٤).

وأنَّ ذريته ليس منهم نبي، كما يقوله كثير من أهل الكتاب، لم يكن هناك تعظيم مبالغاً فيه جداً جداً؛ إذ أكثر ما في ذلك أن يكون له ذرية، ومجرَّد كون الرجل له نَسلٌ وَعَقبٌ،لا يَعْظُم به إلا إذا كان في الذرية مؤمنون مطيعون لله، وكذلك قوله:«أجعلُهُ لأمَّة عظيمة» إن كانت تلك الأُمَّةُ كافرةً، لم تكن عظيمة، بل كان يكون أباً لأُمَّةٍ كافرة، فعُلِمَ أنَّ هذه الأمَّة العظيمة كانوا مؤمنين، وهؤلاء يَحُجُّونَ البيت، فعُلِمَ أنَّحَجَّ البيت مما يحبه الله ويأمر به، وليس في أهل الكتاب مَنْ يَحُجُّ إليه إلا المسلمون، فعُلِمَ أنَّهم الذين فعلوا ما يحبه الله ويرضاه، وأنَّهم وسلفهم الذين كانوا يَحُجُّونَ البيت أُمَّةٌ أثنى الله عليها وشرَّفها، وأنَّ إسماعيل عظَّمه الله جداً جداً، بما جعل في ذريته من الإيمان والنبوة، وهذا هو، كما امتن الله على نوح وإبراهيم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾[الحديد:٢٦]، وقال في الخليل:﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾[العنكبوت:٢٧]،فعُلِمَ بذلك أنَّ إسماعيل وذريته مُعَظَّمُونَ عند الله مَمْدُوحُونَ، وأنَّ إسماعيل معظَّم جداً جداً، كما عظَّم الله نوحاً وإبراهيم، وإن كان إبراهيم أفضل من إسماعيل، لكن المقصود أنَّ هذا التعظيم له ولذريته إنَّما يكونُ إذا كانت ذريته على دين حق، وهؤلاء يحجون إلى هذا البيت، ولا يحجُّ إليه بعد مجيء محمد غيرهم، ولهذا لما قال الله –تعالى-:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾فقالوا: لا نحج، فقال:﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِين ﴾[آل عمران:٩٧]، و–أيضاً–فهذا التعظيم المبلَغُ فيه، الذي صار به ولدُ إسماعيلَ فوقَ الناس، لم يظهر إلا بنبوة محمد، فدلَّ ذلك على أنَّها حَقٌّ وَمُبَشَّرٌ به»[١].

**ثانياً:** إنَّ إبراهيم –عليه السلام– دعا ربه –تعالى–أن يحفظ إسماعيل –عليه السلام–ويجعله في طاعة: «وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ»[٢]، وقد سمع الله –تعالى– لدعاء إبراهيم، حيث قال له: «وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فيه. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً»[٣].

فهذه النصوص تستدعي ذكْر بركة إسماعيل –عليه السلام– وأنَّه كان ابنَ عهد الختان كما كان إسحاقُ–عليه السلام– بلا فرق، ولا وجه لتخصيص إسحاقَ دون إسماعيلَ بالبركة[٤]، ولم يأت إسماعيل –عليه السلام– بما يستوجب حرمانه من هذا

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٢٢٠-٢٢١).
(٢) سفر التكوين (١٧:١٨).
(٣) سفر التكوين (١٧:٢٠).
(٤) انظر: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، وليم مارش (ص٩٥).

الوعد، قال الله -تعالى-: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِين﴾[الصافات:١١٣].

يقول السعدي[١] -رحمه الله-: «أي: أنزلنا عليهما البركة، التي هي النمو والزيادة في علمهما وعملهما وذريتهما، فنشر اللّه من ذريتهما ثلاث أمم عظيمة: أمَّة العرب من ذرية إسماعيل، وأمَّة بني إسرائيل، وأمَّة الروم من ذرية إسحاق ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ أي: منهم الصالح والطالح، والعادل والظالم الذي تبين ظلمه بكفره وشركه، ولعلَّ هذا من باب دفع الإيهام، فإنَّه لما قال: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ ﴾، اقتضى ذلك البركة في ذريتهما، وأنَّ من تمام البركة أن تكون الذرية كلهم محسنين، فأخبر اللّه -تعالى- أنَّ منهم محسناً وظالماً، واللّه أعلم»[٢].

**ثالثاً:** إنَّ زعم اليهود أنَّ الله وعدهم بالبركة،وبهم وبنسلهم تتبارك الأمم؛ زعم مردود، وإنَّما وعدهم الله -عز وجل- بتقطيعهم في الأرض، وتشتيتهم فيها جزاء كفرهم وفسادهم[٣]، كما قال الله-تعالى-: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيم﴾[الأعراف:١٦٧]، ولو كانوا شعب الله المبارك لما تعرضوا لهذا الشتات والتقطيع الذي لم يتعرض له شعب آخر.

فالوعد بالبركة مشروط بالعمل الصالح، وقد أعطيها إبراهيم -عليه السلام- لحفظه أوامر الله -تعالى- وفرائضه:«إِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ. لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ»[٤].

فالعمل بوصايا الله هو سبب هذه البركة، وقد قال الله لإبراهيم -عليه السلام-: «وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي»[٥].

فبركة الله -تعالى- إنَّما تكون للصالحين، ولعنته هي نصيب الكافرين، كما قال الله لموسى -عليه السلام-:«اُنْظُرْ. أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ بَرَكَةً وَلَعْنَةً، الْبَرَكَةُ إِذَا سَمِعْتُمْ لِوَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ. وَاللَّعْنَةُ إِذَا لَمْ تَسْمَعُوا لِوَصَايَا

---

(١) هو عبدالرحمن بن ناصر السعدي، أبو عبدالله، العالم، الزاهد، الفقيه، الأصولي، المفسر، توفي في عنيزة، سنة ١٣٧٦هـ. انظر: معجم المؤلفين، كحالة (١٢١/٢)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون، البسام (٢١٨/٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٠٦).

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري (٥٢٩/١٠)، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف (ص٤٩)، وموجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود قدح (ص٢٧٩).

(٤) سفر التكوين (١٨:١٨-١٩).

(٥) سفر التكوين (١٨:٢٢).

الرَّبِّ إِلهِكُمْ، وَزُغْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتَذْهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا»(١).

وقال له –أيضاً–: «احفَظِ الْوَصَايَا وَالْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ الْيَوْمَ لِتَعْمَلَهَا.وَمِنْ أَجْلِ أَنَّكُمْ تَسْمَعُونَ هذه الأَحْكَامَ وَتَحْفَظُونَ وَتَعْمَلُونَهَا، يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ الْعَهْدَ وَالإِحْسَانَ اللَّذَيْنِ أَقْسَمَ لآبَائِكَ. وَيُحِبُّكَ وَيُبَارِكُكَ وَيُكَثِّرُكَ وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ»(٢).

**رابعاً:**إنَّ قصة حصول يعقوب –عليه السلام– على البركة بدلاً من أخيه إسحاق –عليه السلام–تحمل في طياتها أدلّة وضْعِهَا، ومصائب شاهدة بضلال كتبتها وانحرافهم، ومن ذلك:

١– اتهامهم نبي الله يعقوب –عليه السلام– الذي ينتسبون إليه، بأنَّه خدع أباه الكفيف وغشّه، فحصل على مباركته التي كانت من حق أخيه عيسو بصفته الابن البكر.

وهذا مستبعد عمّن فيه خيرٌ من الناس العاديين وأبنائهم، فكيف من نبي معصوم في أبيه النبي المعصوم(٣).

٢– ادعاؤهم أنَّ الله أجرى حكمه وأعطى نعمته إلى غير أهلها، فإما أن يكون قد قبل احتيال المحتالين وباركه، أو أنَّ الغش قد انطلى عليه كما انطلى على إسحاق، وحاشا لله من هذا.

٣– زعمهم أنَّ إسحاق–عليه السلام– أُسقط في يده عندما علم بحقيقة الأمر، ولكنَّه لم يصنع شيئاً لعيسو، فلم يتدارك الأمر وينتزع البركة ممن خدعه، ويعيدها إلى من نواه بقلبه، بل دعا على المظلوم عيسو، وقال له: «وَلأَخِيكَ تَسْتَعْبَدُ»(٤)، بدلاً من مواساته عن الظلم الذي وقع به، ثم أمر الظالم المخادع بالسفر ودعا له بالبركة وكثرة النسل، وبشّره بأن بركة إبراهيم تكون له ولنسله من بعده.

لقد أراد كتبة السفر من هذه القصَّة المختلقة تدنيس بيت النبوة، ورفع شأن يعقوب وذريته فوق إخوته وذرياتهم، وإنَّ العاقلَ ليعجبُ هل أراد واضعو هذه القصَّة الإحسانَ إلى يعقوبَ –عليه السلام– أم الإساءةَ إليه؟!هل كَذِبُ الابنِ على أبيه وخداعُهُ، يُعدُّ منقبةً ومدحةً؟!

---

(١) سفر التثنية (١١:٢٦–٢٨).
(٢) سفر التثنية (٧:١١–١٣).
(٣) يقول القاضي عياض: «أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الكبائر والفواحش والموبقات». انظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (٣/٣٢٧).
(٤) سفر التكوين (٢٧:٤٠).

إنَّها أقلام اليهود التي نسجت كل هذه الخرافات في كتابهم المزعوم قدسيته، ورتَّبوا الأحداث والشخصيات على حسب منظار خاص يخدم الفكر اليهودي المبني على عقيدة الاصطفاء والاختيار، ليصلوا إلى غاية مفادها:أنَّهم هم وحدهم المباركون.

أين هذا الباطلُ في حق نبي الله يعقوبَ-عليه السلام- من نورِ الحقِ الذي جاء به القرآن الكريم، فقد وصفه ربه بالنبوة، فقال: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾[مريم:٤٩]، وزكاه بالصلاح، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِين﴾[الأنبياء:٧٢]، وقال عن وصيته لبنيه: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون. أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون ﴾[البقرة:١٣٢-١٣٣].

**خامساً:** لقد أعظم اليهود الفرية على نبي الله يعقوب -عليه السلام- فزعموا أنَّه صارع الرّب لينتزع البركة منه، وكانت الغلبة له على الرّب، إنَّ هذا الأمر لا يليق أن يكون بين العبد وسيده من البشر، فكيف يليق أن يكون بين نبي كريم ورب عظيم[1]! ومع ذلك يزعمون أنَّهم شعب الله المباركون!

ومن العجب أنَّ يعقوب -عليه السلام- يصارع الرَّب وينتزع منه البركة، ثم يسأله عن اسمه! فهل كان يعرفه وهو يصارعه أم لا؟ إذا كان لا يعرفه فكيف يطلب منه البركة؟ وإذا عرفه فكيف يجرؤ على ذلك؟! إنَّه الافتراء المتعمد على الله -تعالى- وعلى نبيه يعقوب -عليه السلام-.

فما أعجبَ سوءَ أدبِ اليهودِ مع الله -تعالى-! ويزيدُ الأمرَ عجباً ادعاؤهم أنَّهم شعبُه المباركون!

إنَّ نظرة اليهود للأنبياء يحكمها هواهم الضَّال،وفكرهم المنحرف، قال الله -تعالى-: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُون﴾[البقرة:٨٧]، بخلاف المسلمين الذين ينظرون إلى الأنبياء بعمومهم على أنَّهم صفوة البشر، وأحسن الناس خُلُقًا، وأكملهم خِلقةً، وأزكاهم عملاً، وأطهرهم نفساً، وأعطرهم سيرة، اختصهم الله بالنبوة، والوحي، والعصمة، واصطفاهم على سائر العالمين لهداية الناس، كما قال الله -تعالى-: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ

(١) انظر: الفصل في الملل، ابن حزم (١٣٧/١)، وهداية الحيارى، ابن القيم (ص٢٠٣).

النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير﴾[الحج:٧٥]، وقال –تعال–: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُـصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[ص:٤٧]، ويكفيهم شرفاً، ويزيدهم كرماً، قول مولانا عنهم: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَـاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِين﴾[الدخان:٣٢]، وأمرَ بالاقتداء والتأسي بهم، فقـال: ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[الأنعام:٩٠].

**الخاتمة:** وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات:

**أولاً: أهم النتائج:**

١- يُعدُّ سفر التكوين أهم أسفار العهد القديم على الإطلاق، ولذا افتُتحت به أسفاره، فهو محل اتفاق عند جميع فرق اليهود وطوائفهم، ويقوم على فكرة يهودية استعلائية، ويروي من الوعود الإلهية أكثر مما يرويه أي سفر آخر.

٢- يعتقد اليهود أنَّهم هم الوارثون الحقيقيون لأرض الميعاد، لأنَّها الأرض التي وعدها الله لآبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب -عليهم السلام- ولأحفادهم وسلالتهم من بعدهم، وأنَّ هذا الوعد واجب الاستحقاق لا رجعة فيه، قطعه الله على نفسه إلى الأبد، سواءً استقاموا أم لم يستقيموا.

٣- يقوم الفكر اليهودي على أنَّ الله اصطفاهم من البشر، فباركهم وكثَّر نسلهم، واصطفى من الأرض أرض كنعان فباركها، ولا يمكن أن تتحقق لها البركة إلا بحلول اليهود فيها، فهي أرضهم المباركة الموعودة الخاصة بهم، كما يدَّعون.

٤- يشهد سفر التكوين من خلال نصوصه التي يؤمن بها اليهود ويعتقدون قدسيتها، أنَّ الوعد بكثرة النسل لم يتحقق في نسل يعقوب -عليه السلام- دون غيرهم، بل إنَّ نصوصه تثبت عكس ذلك؛ بزيادة نسلِ إسماعيل وعيسو إذا قورن بنسلِ يعقوب.

٥-البركة الإلهية في الفكر اليهودي تقوم على إظهار عظمة اليهود، وأنَّهم هم وحدهم المباركون، فمنحة البركة مقصورة عليهم دون غيرهم.

٦- جعل كتبة سفر التكوين علّة البركة الإلهية لليهود وتكثير نسلهم؛تملك أرض الميعاد، فاليهود يعتقدون أنَّه لا يمكن أن يكونوا مباركين إلا إذا استقروا في أرض الميعاد وملكوها، وأرض الميعاد لا يمكن أن تكون مباركة إلا من خلال وجودهم فيها.

٧- وعود الله -تعالى- لليهود كانت معلَّقة على شرط واضح لا يمكن منْحها إلا باستيفائه؛ وهو أن يطيعوا الله، ويعملوا بأحكامه ووصاياه، وإلا انقلب وعده إلى وعيد، وتحولت نعمته إلى نقمة، وقد تحقق لليهود شيئاً من هذه الوعود على يد يوشع بن نون وأقاموا في الأرض المقدسة زمناً في عهدي داود وسليمان وتحققت لهم في هذين العهدين كل آمالهم، حينما فضلهم الله على عالمي زمانهم، لكن حينما كفروا بالله، وأفسدوا في الأرض، غضب الله عليهم فعذبهم وسلَّط عليهم من يسومهم سوء العذاب، وحرمهم الأرض المقدسة، وشردهم وشتتهم في الأرض.

**التوصيات:** يوصي الباحث بدراسة نصوص القَسَم وطقوسه في سفر التكوين وأبعادها العقدية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

## فهرس المصادر والمراجع

١- إبراهيم عليه السلام في أسفار اليهود، فاطمة خالد ردمان، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، سنة ١٤٢٢هـ.

٢- إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المسجد الأقصى، أبو عبدالله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي المنهاجي شمس الدين السيوطي، تحقيق أحمد رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتب، سنة ١٩٨٢/١٩٨٤م.

٣- أرض كنعان ومزاعم التوراة من خلال مسيرة بعض الشخصيات التوراتية، إدريس اعبيزة، دار أبي رقراق، الرباط، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٣هـ.

٤- الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد، محمود بن عبدالرحمن قدح، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (١١١).

٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٦- إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، دراسة وتحقيق محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠ه/١٩٨٩م.

٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيّم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

٨- إكمال المعْلِم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبُي السَّبتي، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٩- الأيدولوجية الصهيونية، عبدالوهاب محمد المسيري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٣م.

١٠- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١١- بنو إسرائيل (الحضارة)، محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٩٩م.

١٢- بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء، عبدالشكور بن محمد العروسي، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، سنة ١٤٠٢هـ.

١٣- تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

١٤- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣م.
١٥- تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠١هـ.
١٦- تأملات في سفر المزامير، القس منيس عبدالنور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة.
١٧- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين أبو البقاء الهاشمي، تحقيق محمودعبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٨- تعرف إلى العهد القديم مع الآباء والأنبياء، بولس الفغالي، الرابطة الكتابية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٤م.
١٩- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ومعه كتاب الحياة)، جماعة من اللاهوتيين، ترجمة وتحرير وليم وهبة وآخرون، شركة ماستر ميديا، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٨م.
٢٠- التفسير الحديث للكتاب المقدس: سفر التكوين، ديريك كدنر، ترجمة القس بخيت متى وجوزيف صابر، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٥م.
٢١- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، سنة١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٢٢- تفسير سفر التكوين، القديس يوحنا الذهبي الفم، عناية القس اغسطينوس البرموسي، دار نوبار للطباعة، سنة ١٩٩٩م.
٢٣- تفسير سفر التكوين، القس أنطونيوس فكري، نشر كنيسة السيدة العذراء، القاهرة، سنة ٢٠١٢م.
٢٤- تفسير سفر التكوين، القس نجيب جرجس، مدارس الأحد، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨م.
٢٥- تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، سعيد بن منصور بن كمونة، تحقيق عبد العظيم المطعني،دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الثانية.
٢٦- التوراة دراسة وتحليل،محمد شلبي شتيوي، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.
٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠ه.
٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢ه.
٢٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٩هـ.

٣٠- دائرة المعارف الكتابية، مجموعة من اللاهوتيين، المحرر وليم وهبة ببــاوي، دار الثقافــة، القاهرة، الطبعة الأولى.
٣١- دائرة المعارف، بطرس البستاني، المطبعة البستانية، بيروت، سنة ١٩٥٦م.
٣٢- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبدالعزيز الخلــف، أضــواء الــسلف، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨ه/١٩٩٧م.
٣٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بــن محمــد بــن حجــر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر ابــاد، الهند، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
٣٤- دليل العهد القديم، ملاك محارب، نشر أبناء الأنبا رويس، مكتبة النسر، الطبعة الأولى، سنة (١٩٩٧م).
٣٥- رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا، ترجمة حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧١م.
٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمــود بــن عبــد الله الألوسي البغدادي، تحقيق علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولــى، سنة (١٤١٥م).
٣٧- سفر التكوين تاريخ الكون والإنسان، الخوري بولس الفغالي، المكتبة البولــسية، بيــروت، الطبعة الأولى، سنة(١٩٨٨م).
٣٨- سفر التكوين دراسة عقدية نقدية، نو الخضر الثبيتي، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، سنة ١٤٣٣/١٤٣٤ه.
٣٩- السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التكوين، القس وليم مــارش، مجمــع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، سنة ١٩٧٣م.
٤٠- شرح سفر التكوين سفر البدايات، القس يوحنا المقاري، دير القديس انبا مقار.
٤١- شرح سفر التكوين، آدم كلارك، ترجمة لورانس لمعي رزق الله، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٥م.
٤٢- صحيح البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري،تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وقصي محب الدين الخطيب، المكتبة الــسلفية، القــاهرة، الطبعــة الأولــى، ســنة ١٤٠٠هـ.
٤٣- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢ه/١٩٩١م.
٤٤- الصهيونية النصرانية، محمد بن عبدالعزيز العلي، دار كنوز إشــبيليا، الريــاض، الطبعــة الأولى، سنة (١٤٣٠هـ).

٤٥- طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، الدار السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٤هـ.
٤٦- العرب واليهود في التاريخ،أحمد نسيم سوسة، دار العربي، دمشق.
٤٧- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الحنبلي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي، بيروت.
٤٨- علم اللاهوت النظامي، القس جيمس أنس، تنقيح القس منيس عبدالنور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة.
٤٩- علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٩هـ.
٥٠- العهد القديم دراسة نقدية، علي سرّي محمود المدرّس، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
٥١- الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم،مكتبة الخانجي، القاهرة.
٥٢- فلسطين بين الحقائق والأباطيل، اللواء المهندس أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٢م.
٥٣- قاموس التراجم القبطية، رجائي مقار وآخرون، إصدار جمعية مارمينا العجايبي للدراسات القبطية بالإسكندرية، سنة ١٩٩٥م.
٥٤- قاموس الكتاب المقدس، تحرير نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير بطرس عبدالملك وآخرون، منشورات مكتبة المشعل، بيروت، بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، الطبعة السادسة، سنة ١٩٨١هـ.
٥٥- قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، ترجمة محمد بدران وآخرون، دار الجيل، بيروت، لبنان،بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،سنة١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٥٦- قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
٥٧- القضايا العقدية في سفر التكوين، دراسة تحليلية نقدية، شوق يونس الحزين، رسالة ماجستير في كلية أصول الدين،الجامعة الإسلامية بغزة، سنة (١٤٣١ه).
٥٨- الكتاب المقدس (الترجمة العربية المشتركة)، إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، جمعية الكتاب المقدس في لبنان، العهد القديم، الإصدار الثاني، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٩٥م، والعهد الجديد، الإصدار الرابع، الطبعة الثلاثون، سنة ١٩٩٣م.

٥٩- الكتاب المقدس (ترجمة البستاني وفانديك) دار الكتاب المقدس، مصر، الإصدار الثاني، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٤م.
٦٠- الكتاب المقدس الدراسي، فريق عمل بإشراف كينيث ل. باركر، ترجمة فريق عمل بإشراف صبري بطرس، شركة ماستر ميديا، القاهرة، الطبعة العربية الأولى، سنة ٢٠١٢م.
٦١- الكتاب المقدس سفراً سفراً، عايد هنري، مكتبة كنيسة الأخوة، القاهرة، سنة ١٩٩٤م.
٦٢- الكتاب المقدس يتحدث اليوم: سفر التكوين، ديفيد أتكنسون، جويس بالدوين، ترجمة نكلس سليم، دار النشر الأسقفية، القاهرة، الطبعة الأولى.
٦٣- الكنز في قواعد اللغة العبرية، محمد بدر، المطبعة التجارية، مصر، الطبعة الأولى، سنة (١٩٢٦م).
٦٤- الله جل جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.
٦٥- المجتمع اليهودي، زكي شنودة، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة.
٦٦- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٦٧- المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، الخوري بولس الفغالي، المكتبة البولسية، جمعية الكتاب المقدس، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (٢٠٠٢م).
٦٨- المدخل إلى العهد القديم، القس صموئيل يوسف، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة١٩٩٣م.
٦٩- المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.
٧٠- مدخل إلى دراسة التوراة ونقدها مع ترجمتها العربية لسعديا كؤون الفيومي، إدريس اعبيزة، منشورات دار الأمان، الرباط، سنة ٢٠١٠م.
٧١- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.
٧٢- مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، مجموعة من اللاهوتيين، المطبعة الأمريكانية، بيروت، الطبعة السابعة، سنة ١٩٣٧م.
٧٣- المرشد إلى الكتاب المقدس، القس سيكل سيل، مكتبة المشعل الإنجيلية، بيروت، سنة ١٩٥٨م.
٧٤- مصر والشرق الأدنى القديم، نجيب ميخائيل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٦م.

٧٥- معالم تاريخ الإنسانية، هربرت جورج ويلز، ترجمة عبـدالعزيز توفيـق جاويـد، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٩م.
٧٦- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسـالة، بيـروت، الطبعـة الأولـى، سـنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٧٧- مفاتيح كنوز الأسفار الإلهي، متى بهنام، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، الطبعـة الثانيـة، سـنة ١٩٦٧م.
٧٨- المكدَّس في الكتاب المقدس، يحي أبو صبيح الإلياسي، سنة النشر ٢٠١٣م (بدون بيانات أخرى).
٧٩- الملائكة رسل الله المختفون، بيللي جراهام، ترجمة فؤاد زكي، لجنة خلاص النفوس للنشر، مصر، سلسلة فتشوا الكتب، مطبعة الخلاص، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٩م.
٨٠- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالـسلام ابـن تيمية، تحقيق محمـد رشـاد سـالم، نـشر جامعـة الإمـام، الطبعـة الأولـى، سـنة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
٨١- موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، محمود عبدالرحمن قـدح، مجلـة الجامعة الإسلامية، العدد (١٠٧).
٨٢- الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم: تفسير سفر التكوين، كنيسة مار مـرقص القبطيـة بمصر الجديدة، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بالإسكندرية، سنة ٢٠٠٦م.
٨٣- موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط، طوني مفرج، دار نوبيليس،بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٥م.
٨٤- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أحمد الحاج، دار القلم، دار الشامية، جدة، الطبعة الأولـى، سـنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٨٥- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرنـاؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٨٦- وحي الكتاب المقدس، يوسف رياض، مكتبة الإخـوة للنـشر، بجزيـرة بـدران، الطبعـة الرابعة،سنة٢٠٠٥م.
٨٧- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة النافـذة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٩م.
٨٨- اليهودية، أحمد شلبي، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، سنة ١٩٨٨م.